عدالة الصحابة

بين القداسة والواقع

حوار تقريبي هادئ

يحيى عبد الحسن الدوخي

عدالة الصحابة (حوار تقريبي هادئ)
التأليف : د . يحيى عبد الحسن الدوخي
الموضوع : سيرة وتاريخ
الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام
الطبعة : الأولى
تاريخ النشر: ١٤٣٠ هـ . ق
عدد النسخ : ٣٠٠٠
ردمك : ٥- ٥٦٧ — ٥٢٩ — ٩٦٤- ٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

لى خاتم الأنبياء والرسل

لى من دنى فتدلى فكان

قاب قوسين أو أدنى

لى من صلى بملائكة السماء

لى المصطفى محمد ﷺ

هذه بضاعتي راجياً شفاعته

في الدنيا والآخرة

كلمة المجمع

إن تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية .

وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية ، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها ، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية .

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام منطلقاً من مسؤولياته التي أخذ على عاتقه للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها، التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الردّ على التحديات المستمرة ، وحاولت أن تبقى على الدوام في خط المواجهة وبالمستوى المطلوب في كل عصر .

إن التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة من نوعها؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب

العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

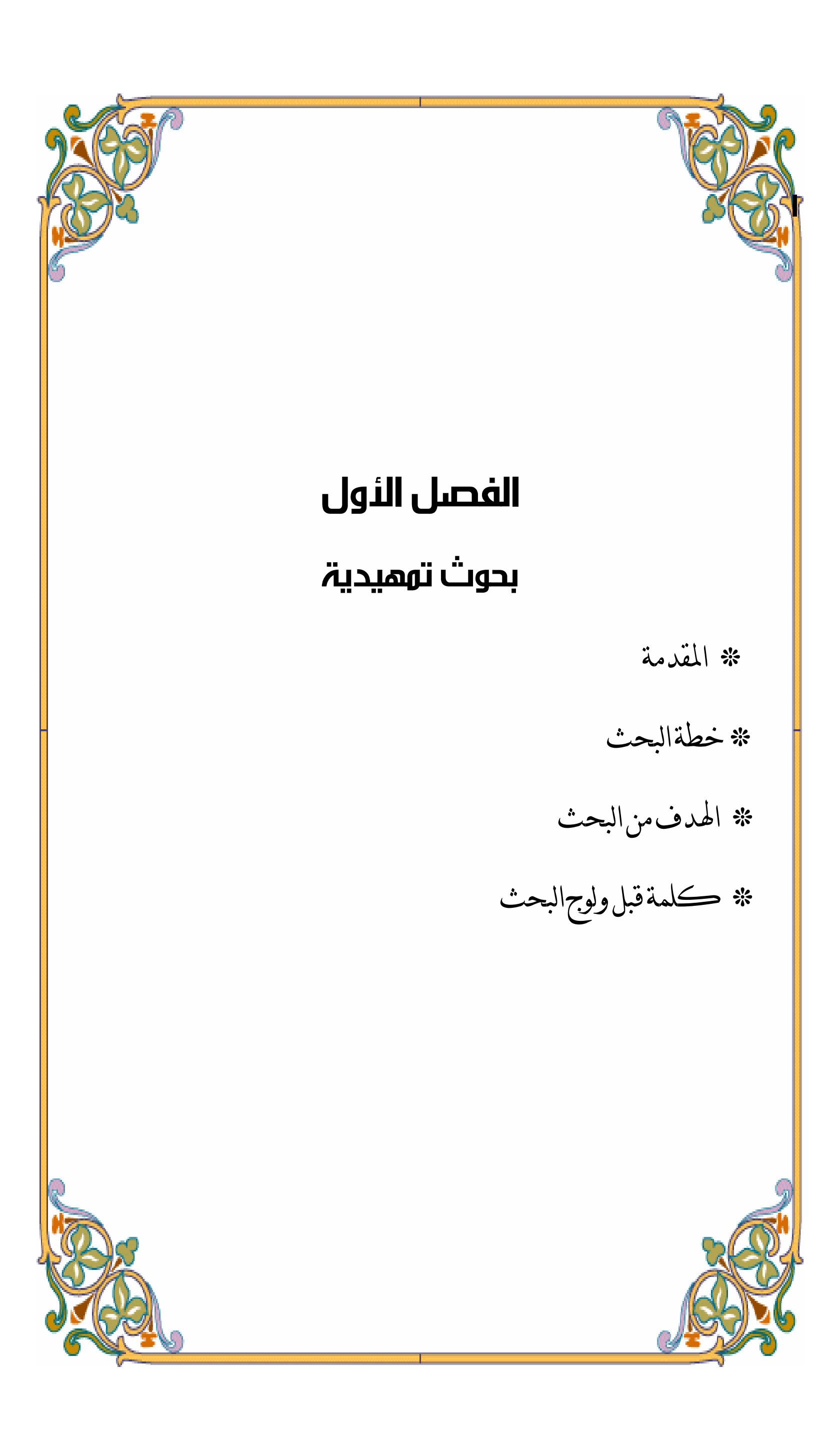
وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنّية من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو من الذين أنعم اللَّه عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً؛ لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ الدكتور يحيى عبد الحسن الدوخي لتأليفه هذا الكتاب.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى باللَّه شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونية الثقافية



الفصل الأول

بحوث تمهيدية

❊ المقدمة

❊ خطة البحث

❊ الهدف من البحث

❊ كلمة قبل ولوج البحث

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين. وبعد..

تمر اليوم امتنا الإسلامية -الوسط-[1] بمنعطف ومنزلق خطير لا يمكن لم شعثها وتمزقها الا بوحدة أبنائها وجمع كلمتها- السواء- على الخير والتآخي والحب للآخر ونبذ العنف والكف عن اتهام الآخر بالكفر، فأمتنا وصفها الله تعالى في محكم كتابه بأنها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]. تلك الأمة التي لم يفرّق القرآن بين أفرادها في العرق واللون والطائفة.

ولو تأملنا في قوله تعالى: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فلم نجده جل وعلا يقول لنا: أخرجت للناس السنّي بالخصوص أو الشيعي كذلك أو غيره؛ بل كان قوله مطلقاً، ولكن تلك الخيريّة مشروطة بالإيمان والتقوى والعمل الصالح ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى﴾[3].

(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وجعلناكم أمة وسطاً ﴾ البقرة: ١٤٨.
(٢) آل عمران: ١١٠.
(٣) الكهف: ٨٨.

وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾(١). فالاعتصام بحبل الله وعدم التفرّق هو الطريق الأسلم لكي يصبح الجميع إخوة بنعمة الله جل وعلا.

أسباب الفرقة بين المسلمين

ولكن هذه الأمة التي جمع شتاتها رسول الله ﷺ ووحد متفرقاتها على رسالة الإسلام والحب والإخاء والوئام، فانطلقت ليشع نورها وتتسع في أرجاء العالم شرقاً وغرباً لتحمل الخير والنور الى البشرية جمعاء، نراها اليوم تتناحر وتتصارع فيما بينها فالجسد الإسلامي المتماسك والقوي قد فتَّ في عضده أعداء الإسلام وزرعوا الفتن فيه، فخمد نوره وانطفأ أواره بسبب الطائفية والعرقية وغيرها من ألوان الفتن؛ ولعل تشخيص داء هذه الفتن يكمن في أربعة أمور:

الأول: التعصب المذهبي والطائفي المقيت الذي انتشر بين المذاهب الإسلامية، بحيث تجسد في إلقاء التهم الباطلة ورمي

(١) آل عمران: ١٠٣.

المسلمين بالتكفير، والفتاوى الجاهزة[١]، بقتل كل من يخالفه في الرأي أو العقيدة، وخير مثال على ذلك القتل على الهوية وهدم الأضرحة والقبور لائمة المسلمين، لا لذنب سوى أنهم من أبناء طائفة معينة.

الثاني: الجهل الذي يسود هذه الأمة وعدم العلم ودرك الحقائق الإسلامية، وعدم فهمها فهماً صحيحاً وموضوعياً؛ لذا انحرفت عن جادتها وتخبطت في معرفتها، ولئن حاول المريد للصلاح بيان أحقية مذهبه أو فكره أو ما يعتنقه إلا ورمي بالكفر والغلو وغير ذلك..

الثالث: عندما رأى الاستعمار النفوس عامرة بالضغائن والبغض فيما بين المسلمين رأى أن المصلحة تقتضي تفريق

---

(١) وخذ مثالاً على ذلك: ما نجده في موقع المنهج، لعثمان بن خميس/قسم الفتاوى.

نص الفتوى: هل علماء الشيعة هم فقط الكفار أم العلماء والعامة كفار مع ذكر الدليل من القرآن والسنة أفتونا مأجورين إن شاء اللهْ.

الجواب: علماؤهم كفار؛ لأنهم يعلمون الحق .. والدليل قوله تعالى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً).

فالرَّجل أفتى بكفر علماء الشيعة بلا وجه حق وبلا دليل سوى البغض والحقد ليس إلا، ثم استدل بآية لا علاقة ولا ارتباط لها بأناس يوحدون الله ويتشهدون الشهادتين. وللأسف نجد هناك الكثير ممن يسير على نهج هذا الرجل.

وحدة شمل المسلمين، وزرع الفتن بينهم، وخلق أجواء الفرقة بين الطوائف، ونجح بامتياز باهر في هذه المهمة؛ لأن الأرض خصبة للزرع فيها، لذا ترى الحقد والبغض والقتل بين الأخ وأخيه، وكأن الآية الشريفة ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[(١)].

لم تمر بسماع المسلمين ليل نهار، وأن رباط لا اله إلاّ الله محمد رسول صلى الله عليه وآله الذي يطوّق عنقهم، وتمتمة الصلوات الخمس التي لا زالت رطبة بين شفاههم، لم تجد لها الصدى في آذانهم.

الرابع: وهذه النقطة هي المحور والأساس لما تقدم من النقاط السابقة ألا وهي أن سبب ما تمر به الأمة الإسلامية هو عدم اتباع نبيها الأكرم صلى الله عليه وآله اتباعاً صحيحاً، فوجوب اتباع أقواله وأفعاله وتقريراته بشكل متكامل هي من صميم الإسلام وروحه، وهي صمام الأمان للبشرية بشكل عام.

الآيات القرآنية الدالة على وجوب الاتباع

والقران الكريم أوجب على الإنسان المسلم اتباع نبيه صلى الله عليه وآله والاقتداء بسنته وطاعة أمره، كما تؤكد ذلك الآيات الشريفة، نذكر منها على سبيل المثال:

(١) آل عمران: ١٠٣.

قوله تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾(١).

وقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٢).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ.. ﴾(٣).

وقوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٤).

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾(٥).

ومعلوم أن اتباعه صلى الله عليه وآله مقرون بطاعته، وطاعته طاعة لله جل وعلا، ولكن مع هذه الأوامر الإلهية نجد أن الاختلاف قد وقع في أمته، وهو يعلم بذلك، ويعلم بما ستؤول إليه الأمور، فهو الصادق الأمين وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى،

(١) النساء: ٨٠.

(٢) النور: ٥٢.

(٣) محمد: ٣٣.

(٤) النور: ٥١.

(٥) الأحزاب: ٣٦.

ويعتقد المسلمون جميعاً السنّة والشيعة أن جميع ما صح عن النبي ﷺ يجب الأخذ به باعتباره وحياً يوحى إليه.

إذن لماذا الاختلاف؟

إنّ السبب الرئيس هو ما قدمناه وهو عدم الالتزام الصحيح بسنّة نبيهم ﷺ والأخذ بأوامره ونواهيه.

نشوء مدرستين فكريتين

مما أدى ذلك إلى بروز مدرستين لكل منهما رؤية وفكرة مختلفة عن الأخرى.

أحدهما: تؤمن بأن التطبيق الصحيح الذي يتلاءم مع روح الرسالة النبوية، متمثل بأهل البيت عليهم السلام فهم ممن أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فهم المنبع الصافي لحمل الشريعة إلى المجتمع الإسلامي. وذلك لما فهموه من أدلة ونصوص أخذت بأعناقهم لاعتناق هذه المدرسة.

والمدرسة الأخرى: تؤمن بأن السنّة الشريفة المنبع الصحيح لها هم الصحابة، ونظريتهم قائمة على عدالتهم جميعاً.

وهذه المسألة- أي عدالة جميع الصحابة- في غاية الأهمية؛ إذ لها مسيس ارتباط بالعقيدة والفقه؛ بل والشريعة بشكل عام؛ لأنّ بعضهم- ونؤكد على كلمة بعضهم- أحدثوا في الإسلام

وغيّروا وبدّلوا سنّة رسول الله صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه كما سيأتي.

النظرية السنية بين منعطفين

وهذا الأمر كان ملتفتاً إليه العالم السعودي حسن بن فرحان المالكي، (الأستاذ التربوي في جامعة الرياض) حيث قال:

« **من هنا اختلت النظرية السنّية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأصبح علماء السنة المتأخرون محتارين في الحكم على حركة الحسين وابن الزبير وأمثالهم، فإن حكموا عليهم بالبدعة وقعوا في تناقض إذ هم يزعمون أن الصحابي لا تصدر منه بدعة!!**

وإن حكموا لهم بالصواب اصطدموا بالسياسة الأموية أو السياسات اللاحقة التي كرست الفتاوى الأموية»[1].

إذن هناك اختلال في هذه النظرية برمتها، وقد ساهم هذا الخلل في خلق وإيجاد الخلاف الكبير بين طوائف المسلمين، وترك أثراً كبيراً في الفقه والعقيدة وغير ذلك، لاسيما في ركن مهم من أركان الشريعة ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) قراءة في كتب العقائد: ص ٧٥- ٧٦، فصل، الدولة الأموية وآثارها على العلم والفكر. الناشر: مركز الدراسات الإسلامية، المملكة الأردنية الهاشمية، ط ١، ١٤٢١هـ.

المنكر، كما تقدم من قول الأستاذ ابن فرحان المالكي.

إذن لا بد من تسليط الضوء على هذه المسألة المهمة- عدالة جميع الصحابة- وعدم إغفالها وبحثها بحثاً دقيقاً عميقاً، بمعنى أن الصحابة هل التزموا واتبعوا أوامر رسول الله ﷺ فجاء تعديلهم منه جل وعلا، فلا يمكن أن نضعهم في مجهر وميزان العدالة الإلهية؛ لنميّز الصالح والطيب عن غيره، أم أنهم فوق الشبهات ولابد من تقديسهم، ومن ثم عدم الخدش بأفعالهم وأقوالهم؛ لأنهم معصومون من الخطأ والزلل بمقتضى الآيات والروايات التي تقال لنا وتبث علينا وتؤول بحسب الرؤية الاستدلالية لكل فريق.

إذن فالسؤال الجوهري الذي يجب أن نجد له الإجابة الشافية والوافية ونقتنع به، ونقنع الآخرين هو مسألة الصحابة وعدالتهم جميعاً؟ وما هي وجهة النظر الشيعية في هذا الأمر ؟ ولماذا هذه الهجمة الشرسة على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

فمن خلال هذا الحوار الهادئ والهادف والبنّاء - إن شاء الله تعالى- سنجد الإجابة على هذه الأسئلة وغيرها، فلكي نبحث عن الوحدة الإسلامية الصادقة والصحيحة، لابد في المرتبة الأولى أن نحل نقاط الخلاف، وان نتصارح في وجهات النظر بين

المدرستين، وبذلك ندفع ما وقع من شبهات بين الفريقين، لاسيما ما اتهمنا به من تكفير وسب للصحابة وغيرها من التهم الباطلة.

وعندها نفتح قلوبنا وصدورنا لتقبل أحدنا للآخر، وإن اختلفت معالم كلتا المدرستين، فالاختلاف لا يفسد للود قضية، وبذلك نصل إلى الحقيقة التي ينشدها طلابها.

* * *

خطة البحث

ترتكز خطة بحثنا الأساسية على خمسة فصول وهي كالتالي:

الأول: بحوث تمهيدية، وذلك من خلال مقدمة وبيان خطة البحث والهدف منه.

والثاني: عدالة الصحابة بين الإفراط والتفريط، وذلك من خلال بيان ومناقشة الأدلة التي فرضت لعدالة جميع الصحابة فجاء على شكل حوار علمي وموضوعي ووفق الرؤية التي يؤمن بها الطرف الآخر - من باب قاعدة الإلزام - فتارة يكون الجواب حلاً وتارة بالنقض وأخرى بالنقل والعقل والقرائن والشواهد التأريخية والروائية، فدمجنا بين تلك الأمور لتكون الإجابة محكمة ومتينة ومتقنة.

أضف إلى ذلك كان خطابنا وفق منهجهم ورؤيتهم في علم الجرح والتعديل، فترجمنا لبعض الصحابة من الكتب المعتبرة كالإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، وسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرها من المصادر من المصادر والمراجع المعتبرة. لتكون أدلتنا موثقة بهذه الشهادات التي لا يمكن الخدش أو التشكيك فيها، ثم ذكرنا الآيات الدالة على ذم بعض الصحابة، وأيدنا ذلك

بأقوال علماء السنة الذامة لبعضهم، ثم عطفنا البحث حول حديث الحوض المشهور.

والثالث: اعتدال و وسطية، ذكرنا فيه رأي المدرسة الشيعية، وأقوال بعض علماء السّنة المطابق لرأي الشيعة، ومن ثم وقفنا مع شبهات طرحها الدكتور الغامدي والجواب عنها.

والرابع: التشيع ومرجعية أهل البيت عليهم السلام، فبعد أن طرحنا وسطية واعتدال مذهب التشيع في هذه المسألة المهمة، رأينا من اللازم والواجب أن نتحدث حول مرجعية هذا المذهب، فهذه الوسطية من هم دعاتها ؟ومن هو المرجع لها ومن أين ورثوها؟ وكذلك لبيان أن هذه المرجعية هي الأولى في الإتباع ؛ وذلك من خلال طرحنا للنصوص الصحيحة بين الفريقين التي أشارت إلى التمسك بالعترة الطاهرة، ومن تلك النصوص والأحاديث، حديث الثقلين والغدير والسفينة وحديث عدم التقدم عليهم والتقصير عنهم وحديث الإقتداء والموالاة، وحديث الأمان لأهل الأرض وحديث نفي التحريف عن الدين، وغيرها..

والخامس: آفاق الوحدة بين المسلمين، فبعد أن أكدنا مرجعية أهل البيت عليهم السلام وأن الشيعة اقتفت أثرهم؛ للنصوص

الملزمة في ذلك، انتقلنا إلى آفاق الوحدة التي تدعوا لها هذه المرجعية الإلهية، برغم الاختلاف بين معالم المدرستين، من خلال طرحنا لتنوع مفهوم الوحدة في القرآن الكريم والسنة الشريفة، ثم انتقلنا إلى بيان مبادئ وأسس تحقيق الوحدة الإسلامية، ووثقنا ذلك بأقوال علماء السّنة الذين يثنون على مذهب الشيعة والتعبد به، ثم عطفنا البحث وختمناه حول ميثاق الوحدة عند الإمام علي عليه السلام، وهذا الميثاق يعتبر شهادة تقريبية بين المسلمين بكل طوائفهم وأعراقهم.

الهدف من البحث

هدفنا من البحث هو بيان ودفع ما ورد من تهم مفتراة لا واقع لها، وتشنيع وتكفير لاسيما في هذه المسألة - عدالة جميع الصحابة- التي وظّفوها لإثارة الأحقاد والعصبيات المذهبية وتعبئة أهل السنة على مذهب الإمامية الإثنا عشرية، ليخلقوا بذلك الحواجز النفسية والنعرات الطائفية بين المسلمين.

ولكن مهما فعلوا فان الحقيقة لا يمكن أن تغيب أو تشوّه بسبك العبارات ونظمها، فمسألة الصحابة ووجوب اتباعهم للنبي الأكرم ﷺ لابد أن نخضعها للقانون الإلهي الرباني وهو (التقوى والعمل الصالح) فهذه هي المرجعية الربانية لهذا الأمر المهم.

ولو تأملنا في الآيات الكريمة التي تعطي هذا الميزان والضابطة في قبول الأعمال.

قال تعالى:﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

وقال تعالى:﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وقول تعالى:﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

---

(١) البقرة: ١٨٩.
(٢) البقرة: ١٩٤.
(٣) البقرة: ١٩٦.

وقول تعالى:﴿وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

يقول الإمام الباقر عليه السلام:« **فتزودوا..من التقوى والعمل الصالح فإنه لا يصل إلى الله من إعمال العباد إلا ما خلص منها ولا يتقبل الله إلا من المتقين**»[٢].

إذن فالتقوى هي الفيصل وهي الميزان والضابطة في قبول عمل الإنسان أو في صلاحه وعدمه.

وعليه فمفهوم الصحبة والعدالة وكل أمر يرتبط بتكليف الإنسان لابد أن يخضع لتلك القاعدة التي لامناص ولا مفر منها.

وبذلك سيتضح من خلال هذه القاعدة اعتدال ووسطية مذهب الإمامية فلا إفراط ولا تفريط في هذه المسألة وغيرها من المسائل كما سيأتي تفصيل ذلك.

ولهذا السبب جاء عنوان هذا الكتاب بهذه الصيغة- عدالة الصحابة بين القداسة والواقع- فالواقع والتأريخ يحدثنا بأشياء لابد أن ندقق ونمحص فيها ونخضعها لميزان العقل ومن ثم ننطق بالحكم عليها. وهو بنفس الوقت حوار للتقريب؛ لأننا سوف ندفع

(١) البقرة: ٢٢٣.
(٢) الكليني، أصول الكافي: ج٣ص٤٢٢.

ما اتهمنا به من افتراءات لا نصيب لها من الصحة، وكذلك نبين وجهة النظر الشيعية في هذه المسألة ونبين كذلك أيضاً نقاط الاشتراك والأسس التي تجمع الطائفتين كأمة مسلمة واحدة.

كلمة قبل ولوج البحث

هناك من يتهم الشيعة بأنهم يكّفرون جميع الصحابة الا ثلة قليلة جداً، وهذا ادعاء لابد أن نزيله من أذهان قائليه أولاً، ونثبث الحقيقة من خلال الدليل ليسفر الحق أمام من يطلبه ثانياً، وهذا ما سيثبته البحث إن شاء الله تعالى، ولكن قبل ذلك نقول:

إن آيات الذكر الحكيم طافحة بالمدح للصحابة الأجلاء ممن أخلصوا لله وللرسول ﷺ والأحاديث التي لاتقل شأناً عن تلك الآيات المباركات، فكيف والحال هذه أن تَقصُر الشيعة كلامهم على نفر قليل من الثناء عليهم، وكيف نصوّر نجاح الرسول الخاتم في دعوته التي انتشرت في شرق الأرض وغربها؛ فكيف يجوز لمسلم أن يدّعي أنه لم يثبت على الإسلام بعد مرور ثلاثة وعشرون عاماً من الدعوة إلا ثلاثة أو سبعة عشر نفر.

نعتقد إنّ هذا الإعاء عار عن الصحة تماماً، وهو من مختلقات أعداء الشيعة، وغرضهم هو إثارة المسلمين ضد أبناء هذا المذهب؛ لتمزيق الوحدة الإسلامية، وفصم عرى الإخوّة بين الفريقين.

فلو دقق المنصف وأحصى عدد الذين آمنوا برسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في عصره وبذلوا وضحّوا بأنفسهم لأجل الاسلام، لما أُتهم الشيعة بهذه التهمة الباطلة[1].

وخذ مثالاً على ذلك: بنو هاشم فعددهم كان يتجاوز العشرات، وكذلك الذين استشهدوا في واقعة بدر واُحد والخندق وسائر غزواته صلى الله عليه وآله، فعددهم يتجاوز المئآت؛ بل لعله يتجاوز الآلاف.

وهناك نماذج كانوا مشروع فداء للتضحية بكل غال ونفيس من أجل عقيدته وآيمانه بالرسول والرسالة،وخير مثال على ذلك: آل ياسر الذين كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطبهم بخطابه المشهور وهم يتلوعون العذاب تحت سياط التعذيب:«**صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة**»[2]. وجابر بن عبد الله الأنصاري وحذيفة بن اليمان وسلمان الفارسي وأبو أيوب الأنصاري وأبو ذر الغفاري

---

(١) ذكر الشيخ الطوسي في رجاله ٤٨٨ صحابيّاً، في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، وقد وثق منهم ١٧٦صحابيّاً، وذكر ٤٣٦ صحابيّاً في أصحاب أمير المؤمنين وقد وثّق منهم ١٨٧ صحابيّاً. من شهد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله مع علي عليه السلام في الجمل.
كما روى أيضاً عن عبد الرحمن بن أبي ليلى: شهد مع علي (عليه السلام) يوم الجمل ثمانون من أهل بدر، وألف وخمسمائة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله). الأمالي: الطوسي: ص٧٢٦، شرح الأخبار:ج١ ص٤٠١.

(٢) الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد: ج١ص١٦١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

وعمرو بن الحمق الخزاعي وابو الهيثم بن التيهان وخزيمة ذو الشهادتين وخالد بن سعيد بن العاص والمقداد بن الأسود وبريدة الأسلمي وعثمان بن حنيف وسهل بن حنيف، وغيرهم وغيرهم الكثير.

ولكن عندما تتكلم الشيعة حول هذا الموضوع فهم ينطلقون من مبدأ عدم التقديس والاعتدال في الرأي وعدم اضفاء العصمة عليهم؛ بل تضعهم في ميزان الشريعة، لذا جاءت أقوال علماء الشيعة تؤكد هذا المعنى.

السيد الشهيد محمد باقر الصدر يمدح الصحابة

قال السيد محمد باقر الصدر رحمه الله تعالى: «**إنّ الصحابة بوصفهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة كانوا أفضل وأصلح بذرة لنشوء أمة رساليّة، حتّى أنّ تاريخ الإنسان لم يشهد جيلاً عقائديّاً أروع وأنبل وأطهر من الجيل الذي أنشأه الرسول القائد، وبالرغم من ذلك نجد من الضروري التسليم بوجود اتجاه يميل إلى تقديم الاجتهاد في تقدير المصلحة، واستنتاجها من الظروف، على التعبد بحرفية النص الديني**»[1].

---

(١) نشأة الشيعة والتشيع.ص٧٦، الناشر. مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

الشيخ السبحاني يقتفي نفس الأثر

وقال العلاّمة الشيخ جعفر السبحاني وهو من أكابر علماء وأساتذة الحوزة العلميّة بقم المقدّسة:

«إنّه من المستحيل أن يحبّ الإنسان النبيّ ﷺ وفي الوقت نفسه يبغض من ضحّى بنفسه ونفيسه في طريق رسالته، والإنسان العاقل لا يمكنه أن يجمع في قلبه حالتين متضادّتين، والذي دعا أهل السنّة إلى اتّهام الشيعة بالسبّ هو اعتقادهم بعدالة الصحابة كلّهم من أولّهم إلى آخرهم، والشيعة الاثنا عشريّة لا تعترف بذلك؛ بل إنّ الصحابة والتابعين وغيرهم من تابعي التابعين عندهم في صفّ واحد، ولا ترى أيّ ملازمة بين كون الرجل صحابيّاً رأى النبيّ ﷺ، وبين كونه رجلاً مثاليّاً يكون القدوة والأسوة للمسلمين إلى يوم القيامة؛ بل تعتقد أنّ مصير الصحابة كمصير الآخرين، فيهم: الصالح، والتقيّ، والمخلص، وفيهم: الطالح، والمنافق، وتدلّ على ذلك أمور كثيرة»[١].

وقال أيضاً: **«على أنّ ما نحن بصدد بحثه ودراسته هنا هو (عدالة جميع الصحابة) لا سبّ الصحابة، وإنّ من المؤسف أنّه لم يفرق البعض بين المسألتين، وإنّما عمد إلى اتّهام المخالفين في المسألة**

---

(١) جعفر السبحاني، رسائل ومقالات: ١٥٥.

الأولى، والإيقاع فيهم في غير ما حق.

وفي الخاتمة نؤكّد على أنّ الشيعة الإمامية لا ترى احترام صحبة النبيّ ﷺ مانعاً من مناقشة أفعال بعض صحابته ﷺ والحكم عليها، وتعتقد بأنّ معاشرة النبيّ لا تكون سبباً للمصونيّة من المعاصي إلى آخر العمر... على أنّ موقف الشيعة، في هذا المجال ينطلق من الآيات القرآنيّة، والأحاديث الصحيحة، والتاريخ القطعي، والعقل المحايد الحصيف»[1].

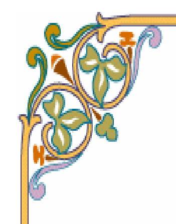
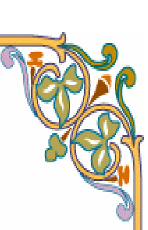
إذن معاشرة النبي ﷺ وصحبته لا تمنع من أن نناقش ونحاور في بعض أفعال الصحابة، فليس الصحبة فقط تخلق لنا هذه القداسة؛ بل لابد من البحث عن الميزان والضابطة التي على أساسها نقيّم عمل الإنسان، فالمعاشرة وحدها لا تكفي لذلك.

والشيعة تنطلق من هذا المفهوم مستندين على فهمهم للآيات القرآنية والروايات والتاريخ والعقل.

وسيأتي الكلام حول رأي المدرسة الإمامية وأئمتهم وعلمائهم في هذا الصدد، إذن هذا الإدعاء باطل ولا ينطلي على العقول التي تنشد الحق والحقيقة.

---

(١) جعفر السبحاني، العقيدة الإسلاميّة على ضوء مدرسة أهل البيت: ٢٩٨.

الفصل الثاني

عدالة الصحابة بين الإفراط والتفريط

❊ مدخل لى البحث

❊ رأي المدرسة السنية في تعريف الصحابة

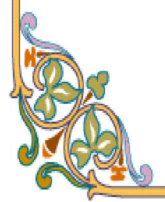
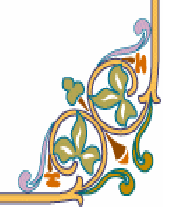
❊ أقوال علمائهم في عدالة الصحابة

❊ أدلة عدالة جميع الصحابة مع مناقشتها

❊ الآيات الدالة على ذم بعض الصحابة

❊ أقوال علماء السنّة الذامة لبعض الصحابة

❊ تأملات في حديث الحوض

مدخل إلى البحث

إن موضوع عدالة جميع الصحابة يعد من الخطوط الحمراء التي لا يمكن المساس بها عند إخواننا أهل السنة ـ لاسيما الفكر الوهابي حصراً ـ بل وظّفت هذه القضية واستثمرت في تصفية الخصوم أو التشكيك في عقائدهم أو كتبهم أو التضييق عليهم دون النظر إلى حججهم وأدلتهم[1].

لذا فإن كل من يناقش في عدالة الصحابة أو يستفهم عن الأحداث التاريخية التي كان لهم دور كبير فيها، كان مورداً للطعن والتهمة، وهذا الكلام بالنسبة لمن هو على مذهبهم؛ فكيف الحال بمن هو على مذهب أهل البيت عليهم السلام الذين يرون أن الصحبة وعدالة الصحابة خاضعة لميزان الإيمان والعدالة والتقوى، ولعل من ناقش في علم بعض آحاد الصحابة فضلاً عن عدالتهم أو خطّأهم في بعض أفعالهم وأقوالهم حسب ما تقتضيه المقاييس الدينية والعقلية، فإن ذلك كاف في إخراجه من الإيمان إلى الكفر ومن السنة إلى البدعة.

---

(١) حسن بن فرحان المالكي، الصحبة والصحابة: ص١٤، مركز الدراسات التاريخية، المملكة الأردنية الهاشمية ط١، ١٤٢٢هـ

رأي المدرسة السنية في تعريف الصحابة

ونقل بعض من أقوال علمائهم:

١- محي الدين النووي(ت/ ٦٧٦هـ)

حيث نقل رأي البخاري وأحمد بن حنبل والمحدثين كافة على حد قوله، قال:« **فأما الصحابي فكل مسلم رأى رسول الله ﷺ ولو للحظة، هذا هو الصحيح في حده، وهو مذهب ابن حنبل وأبي عبد الله البخاري في صحيحه والمحدثين كافة**»[(١)].

٢- الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت/٨٥٢هـ)

قال في تعريفه للصحابة:«**وأصح ما وقفت عليه من ذلك: أن الصحابي من لقي النبي مؤمناً به ومات على الإسلام**»[(٢)].

ثم يشرح ابن حجر هذا التعريف بقوله:

«**فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمي. ويخرج بقيد (الإيمان)**

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم: ج ١ ص٣٥، دار الكتاب العربي -بيروت. ط ١٤٠٧ هـ

(٢) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة: ج١ ص ١٥٨. دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٤١٥ هـ

من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى»[(١)].

إذن كل من رأي النبيﷺ ولو للحظة واحدة سواء جالسه أو لم يجالسه رآه أو لم يره، فهذا الإنسان لا يخرج عن دائرة الصحبة.

وأما قيد الإيمان فهو إشارة عمن لقي ورأى النبيﷺ وهو كافر فلا يسمى صحابياً وإن أسلم بعد وفاة النبي ﷺ.

المنافق لا يخرج عن تعريف ابن حجر

ولعل قائلاً يدعي: أن المنافق قد خرّجه ابن حجر من التعريف؛ لأنه قيده بالإيمان ؟

نقول:إن ابن حجر لم يدع ذلك؛ لأن قيد الإيمان كما قلنا هو في قبال الكفر كما صرح هو بنفسه بذلك، فالكافر الذي أسلم بعد وفاة النبي ﷺ وإن رآه لا يصح أن نطلق عليه لفظ الصحابي.

أضف إلى ذلك إن المنافق لا يخرج عن هذا التعريف إطلاقاً؛ لأن المنافق هو مسلم ظاهراً منافق باطناً فيحكم عليه بالإسلام وهذا بديهي.

---

(١) المصدر نفسه: ج١ ص ١٥٨.

قال الفخر الرازي في تعريف المنافق:

«**هو المظهر للإيمان المبطن للكفر**»[١].

وقال أيضاً: «**فإن المنافق هو الذي يستر كفره وينكره بلسانه ومتى كان الأمر كذلك لم يجز محاربته ومجاهدته**»[٢].

إذن فالباطن المطلع عليه هو الله جلّ وعلا، فهو مسلم منافق باطناً وهو لا ينكر إسلامه مطلقاً؛ وإلا كيف نستطيع أن نصفه بالنفاق ما لم يكن كذلك، وعليه فيدخل في هذا التعريف المنافق والمؤمن بالمعنى الأخص، فيعم البر والفاجر، ويعم من روى عن رسول الله ومن لم يرو عن رسول الله، ويعم من عاشر رسول الله ولازمه ومن لم يعاشره ولم يلازمه؛ لأن المراد والمقصود والمطلوب هو مجرد الالتقاء برسول الله؛ ولذا يقولون بأن مجرد رؤية رسول الله صلى الله عليه وآله محققة للصحبة فيكون المنافق صحابياً، ويؤيدون هذا التعريف بما يروونه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في حق عبد الله بن أبي المنافق المعروف:

«**فلعمري لنحسنن صحبته ما دام بين أظهرنا**»[٣]. فيكون هذا

---

(١) الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي: ج ٣٢ ص ١١٥، دار النشر: الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ

(٢) المصدر السابق: ج ١٦ ص ١٣٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٦٥. الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام - قم، ط ١٤١٦هـ

المنافق صحابياً.

إذن تعريف ابن حجر محصور بالرؤية.

إذن هذه هي أقوالهم في تعريف الصحابي، فيكفي في إضفاء العصمة عليه هو كونه رأى النبي ولو للحظة واحدة فقط، كما سيتضح في تعريف عدالتهم.

أقوال علمائهم في عدالة الصحابة

ونقل أقوال بعض علمائهم في عدالة الصحابة:

١- الخطيب البغدادي(ت/ ٤٦٣ هـ)

قال:«عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن»[1].

٢- الذهبي(ت/٧٤٨هـ)

قال: «**وأمّا الصحابة رضي اللّه عنهم فبساطهم مطويّ، وإن جرى ما جرى، وإن غلطوا كما غلط غيرهم من الثقات!! فما يكاد يسلم أحد من الغلط ولكنّه غلط نادر لا يضرّ أبداً! إذ على عدالتهم وقبول ما نقلوا العمل، وبه ندين اللّه تعالى**»[2].

(١) الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية: ص٦٤، الناشر. دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١٤٠٥ هـ

(٢) محمود أبو رية، أضواء على السنّة المحمدية: ص ٣٤٢ عن الذهبي في رسالته التي ألّفها في الرواة الثقات.

٣- الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت/٨٥٢هـ)

قال:«**اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة...، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق**»[١].

ثم جاء أبو زرعة لينطق بالحكم على كل من ينتقص من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بالزندقة والخروج من الدين.

قال:«**إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك إلينا كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة**»[٢].

نقول: نحن لا نختلف وندين الذي ينتقص من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ونطابق هذه الرؤية، ألم يثني عليهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:« **بأنهم إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من**

---

(١) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة: ج١ ص ١٣١، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١٤١٥هـ

(٢) المصدر السابق: ج١ ص ١٦٣.

العقاب ورجاء الثواب»[1]. كما سنوافيك به في طيات هذا البحث، ولكن هناك منهجان ورؤيتان تختلف أحدهما عن الأخرى، فهناك من يرى الصحبة ولو للحظة واحدة كافية في عدالته فهو يستحق نعيم الدنيا والآخرة بهذه النظرة الواحدة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهناك من يناقش في هذا الأمر مستنداً على الأدلة العلمية التي تغاير المنهج الأول وتختلف عن الرؤية القائلة بعدالة جميع الصحابة، وهذا حق مشروع لما يترتب على ذلك من أحكام دينية وعقدية.

إذن لابد أن نفتش عن أهم ما يتكئون ويستندون إليه من الأدلة التي تعطي العصمة والحصانة لجميع الصحابة.

* * *

(١) محمد عبدة، نهج البلاغة: ج١ص ١٩٠، الناشر: دار الذخائر، قم- إيران.

ذكر الدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي في مقاله (اعتقاد أهل السنة في الصحابة) [1]، مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ليثبت من خلالها عدالة جميع الصحابة، بل اعتبرها من ضروريات الدين، ولو كان هذا الصحابي ممن رأى النبي الأكرم ولو للحظة ما فتعطى له الحصانة، ولا يمكن أن يتكلم في أفعاله وأقواله مهما كان ذلك الفعل أو القول ، لأن القرآن والسنة الشريفة قد أضفت عليهم لوناً من القداسة حسب ما نفهمه مما سطره في هذه المقالة . وسوف نشرع بطرح تلك الأدلة ومن ثم مناقشتها وفق الموازين العلمية والموضوعية.

قال:« عدالة الصحابة هي من مسائل العقيدة القطعية، أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة[2]. ويستدلون لذلك بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة .

---

(١) محمد بن عبد الله الوهيبي، اعتقاد أهل السنة في الصحابة: ص٩- ١٩. سلسلة تصدر عن مجلة البيان، العدد ١٣، المنتدى الإسلامي- لندن .

(٢)ونحن نتفق معكم ولا شك في ذلك، ولكن ليس لكل الصحابة، وسيثبت البحث هذا الأمر بإذن الله تعالى.

الاستدلال بالآيات القرآنية

الآية الأولى:

قوله تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح: ١٨.**

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**كنا ألفاً وأربعمائة**» صحيح البخاري: كتاب المغازي ـ باب غزوة الحديبية ـ حديث ٤١٥٤، فتح الباري: ج٧ ص٥٠٧، طبعة الريان.

فهذه الآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم، تزكية لا يخبر بها، ولا يقدر عليها إلا الله، وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم، ومن هنا رضيّ عنه«**ومن رضيّ عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر؛ لأن العبرة بالوفاة على الإسلام، فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام» الصواعق المحرقة: ص ٣١٦.**

ومما يؤكد هذا ما ثبت في صحيح مسلم من قول رسول الله ﷺ:«**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد؛ الذين بايعوا تحتها**» صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة...، حديث **٢٤٩٦.**

قال ابن تيمية:

«والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أن يوافيه على موجبات الرضا - ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً - فكل من أخبر الله عنه أنه رضيّ عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح؛ فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما سخط الرب لم يكن من أهل ذلك» الصارم المسلول: ص٥٧٢، وص٥٧٣، طبعة دار الكتب العلمية، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

المناقشة:

الجواب من أوجه:

أولاً: الجزاء لا يعني أبدية الرضا الإلهي.

نحن نتفق معكم أن هذه البيعة العظيمة كان جزاؤها رضى الله جلّ وعلا؛ ولكن السؤال الذي يفرضه العقل هو: هل هذا يعني أبدية الرضى حتى لو صدر من أحدهم ما يوجب غضب المولى جل وعلا؟

ثانياً: حالة الرضا مقرونة بالثبات وعدم النكث.

نفس الآية الشريفة أعطت الجواب عن هذا السؤال حيث

قالت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّه فَوْقَ أَيْـدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِه وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّـهَ فَسَيُؤْتِيه أَجْرًا عَظِيمًـا﴾[1]. فحالـة الرضـى مقرونـة بعـدم النكـث والتبديل والاستمرار والوفاء بعهد الله؛ لذا جاء قـول المـولى جـلّ وعلا: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللَّه إِذَا عَاهَـدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُـواْ الأَيْمَـانَ بَعْـدَ تَوْكِيدِهَا﴾[2]. فمن الوفاء هو عدم النقض، ولابد من الثبـات علـى الحق ونصرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

إذن فرضوان الله وسكينته مختصة بالمبـايعين الموصـوفين بمـا ذكرناه فقط، أما غيرهم فخارج عن ذلك.

ولـو تأملنـا بعقليـة الإنسـان المنصـف فيمـا رواه البخـاري عـن محمد بن فضيل، عن العلاء بـن المسـيب، عـن أبيـه، قـال:«**لقيـت البراء بن عازب رضي اللّه عنهما، فقلـت: طـوبى لـك صـحبت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبايعته تحت الشجرة!! فقال: يا ابن أخي إنّك لا تدري ما أحدثنا بعده**»[3].

إذن البخاري يعترف كما عن البراء بـن عـازب أنهـم أحـدثوا

---

(١) الفتح: ١٠.

(٢) النحل: ٩١.

(٣) صحيح البخاري: ج٥ ص٦٥، كتاب المغازي باب غـزوة الحديبيـة، ومقدمـة فتح الباري لابن حجر: ص٤٣٣.

بعده والرواية في الصحيح ولا يمكن أن نمس سندها؛ لأنهم ممن جاز القنطرة. فكيف يمكن أن نقول: إن ألفاً وأربعمائة دخلوا في رضوان الله مع إنهم أحدثوا بعده.

ولم تقتصر الروايات فقط عن البراء فقد اعترفت عائشة أيضاً قبل موتها بأنّها قد أحدثت بعد رسول اللّهﷺ كما روى الحاكم، عن قيس بن أبي حازم، قال: «**قالت عائشة وكان تحدث نفسها أن تدفن في بيتها مع رسول اللّه ﷺ وأبي بكر فقالت: إنّي أحدثت بعد رسول اللّهﷺ حدثاً، ادفنوني مع أزواجه، فدفنت بالبقيع**»، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[1].

وكذلك نجد الصحابي أبي سعيد الخدري عندما كان يهنئونه برؤية رسول اللّهﷺ وصحبته!! قال: «**أخي إنّك لا تدري ما أحدثنا بعده**»[2].

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٤ ص٦ وصحّحه الذهبي أيضاً في تلخيص المستدرك، وأنظر: الطبقات الكبرى: ج٨ ص٧٤، ترجمة عائشة، والمصنّف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٨ ص٧٠٨، طبعة دار الفكر، في مسيرة عائشة وطلحة والزبير، وسير أعلام النبلاء: ج٢ ص١٩٣، في هامشه: وصحّحه الحاكم: ج٤ ص٦، ووافقه الذهبي.

(٢) الكامل لعبد اللّه بن عدي: ج٣ ص ٦٣، ترجمة خلف بن خليفة.

ثالثاً: سبب البيعة له مدخلية في تفسيرها.

نسأل: ما هو سبب بيعة الرضوان أليس هو وصول الخبر بمقتل عثمان من قبل المشركين بعد أن أرسلهﷺ مبعوثاً عنه إلى قريش، فدعا رسول اللهﷺ إلى البيعة على قتال المشركين [1].

فلو سلّمنا بأن الذين كانوا تحت الشجرة يشملهم الرضوان فكيف بالمشركين الذي أسلموا وأصبحوا من الصحابة بعد هذه الواقعة، فهل يشملهم رضوان الله، وهل يعقل أن يكون رضوان الله وسكينته شاملاً للمبايعين وللمراد قتالهم في آن واحد؟

رابعاً: عدم اجتماع الصحبة مع البغي.

إن هناك مصاديق ممن هم بايعوا تحت الشجرة؛ في حين أن رسول اللهﷺ وصفهم بالبغاة، وخير مثال على ذلك قاتل عمار بن ياسر [2].فكيف تجتمع الصحبة مع البغي؟!.

---

(١) ابن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج٢ ص ٢٧٩، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، والسيرة النبوية ج٣ ص ٧٨٠.الناشر: مكتبة محمد علي صبيح – مصر.

(٢) قاتل عمار هو: غادية الجهني يقال اسمه يسار سكن الشام، وقال البخاري: الجهني له صحبة سمع من النبي صلى الله عليه وسلم، وتبعه أبو حاتم وقال: روى عنه كلثوم بن جبر، وقال بن سميع: يقال له صحبة، وحدث عن عثمان، وقال الحاكم أبو أحمد كما قال البخاري: وهو قاتل عمار بن ياسر، وقال مسلم في الكنى: «أبو الغادية يسار بن سبع قاتل عمار له صحبة» انظر: ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٧ ص ٢٥٩، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود،

خامساً: الوفاة على الإسلام مشروط بالإيمان والرضا الإلهي.

إنّ قول ابن حجر الهيتمي المكي:«**ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر؛ لأن العبرة بالوفاة على الإسلام**» مردود؛ وذلك لأنه ليست العبرة بمجرد الوفاة على الإسلام، وإنما رضا الله والأيمان به وترتب الثواب عليه مرتبط بالإسلام الحقيقي والواقعي، الذي يتنافى مع النفاق الذي صدر من بعضهم كما في خبر البراء بن عازب المتقدم. علماً أن هناك من المنافقين قد ماتوا على ظاهر الإسلام، فهل أنّ الرضا الإلهي تكون دائرته شاملةً لهم؟ نعتقد أن العقل والفطرة السليمة تأبى ذلك.

سادساً: خطاب الرسولﷺ مقيد بحسن العواقب وخواتيم الأمور.

إنّ قول مسلم في صحيحه:«**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد؛ الذين بايعوا تحتها**» كما تقدم.

مردود؛ لأن خطابه ﷺ ليس مطلقاً؛ فلو تأملنا بكلمة (**إن شاء**

الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط١٤١٥ هـ وكذلك انظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٤ ص ١٣٥، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط١٤٠٧هـ

الله) تشعرنا بذلك؛ لأنه يعلم أن الرضى ليس المقصود منه التأبيد؛ بل مشروط بحسن العواقب وخواتيم الأمور، وهو يعلم علم اليقين أن هناك من دخل النفاق في قلبه، ويعلم أن هناك بغاة جفاة، كما في قاتل عمار بن ياسر؛ فكيف بعد ذلك يقول: إن رضوانه شامل لجميع من كان تحت الشجرة.

سابعاً: الرضا صفة فعل وليست أزلية قديمة

إنّ قول ابن تيمية:

«**والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أن يوافيه على موجبات الرضا... الخ**»

مردود؛ وذلك لأن الرضا صفة فعل، وليست هي أزلية قديمة، ثم أن هناك فرقاً بين صفة الذات والفعل، ذكرها الفخر الرازي في تفسيره، قال:

«**أحدها: أن صفات الذات أزلية، وصفات الفعل ليست كذلك.**

وثانيها: أن صفات الذات لا يمكن أن تصدق نقائضها في شيء من الأوقات، وصفات الفعل ليست كذلك. وثالثها: أن صفات الفعل أمور نسبية يعتبر في تحققها صدور الآثار عن الفاعل، وصفات الذات ليست كذلك»[1].

(١) الفخر الرازي، تفسير الرازي: ج ٤ ص ٧٥.

وقال ابن حجر العسقلاني:

«ولا يرضى أي لا يشكره لهم ولا يثيبهم عليه فعلى هذا فهي صفة فعل، وقيل معنى الرضا أنه لا يرضاه ديناً مشروعا لهم، وقيل الرضا صفة وراء الإرادة، وقيل الإرادة تطلق بإزاء شيئين إرادة تقدير وإرادة رضا والثانية أخص من الأولى والله أعلم، وقيل الرضا من الله إرادة الخير كما أن السخط إرادة الشر»[1].

ثم إن فعل المولى جلّ وعلا على قسمين تكويني وتشريعي، وعلى هذا يكون الرضا أيضاً تشريعي، وتكويني، والرضا في هذه الآية تشريعي وهذا واضح، فإذا كان كذلك، فالأمر التشريعي يكون معلقاً لتكليف العبد من اعتقاده وعمله فإذا كان الاعتقاد والعمل مخالفاً للتشريع فالرضا يكون من سنخ العمل، فهناك سنخية بين الأمرين والجزاء مترتب عليه.

قال السيد الطباطبائي رحمه الله:

«قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[2]، الرضا هيئة تطرأ على النفس من تلقي ما يلائمها وتقبله من غير دفع، ويقابله السخط، وإذا نسب إلى الله سبحانه

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ج ١١ ص ٣٥٠، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

(٢) الفتح: ١٨.

كان المراد الإثابة والجزاء الحسن دون الهيئة الطارئة والصفة العارضة الحادثة لاستحالة ذلك عليه تعالى: فرضاه سبحانه من صفات الفعل لا من صفات الذات. فرضاه تعالى عن أمر من الأمور ملائمة فعله تعالى له، وإذ كان فعله قسمين تكويني وتشريعي انقسم الرضا منه أيضاً إلى تكويني وتشريعي فكل أمر تكويني وهو الذي أراد الله وأوجده فهو مرضي له رضا تكوينياً بمعنى كون فعله وهو إيجاده عن مشية ملائماً لما أوجده، وكل أمر تشريعي وهو الذي تعلق به التكليف من اعتقاد أو عمل كالإيمان والعمل الصالح فهو مرضي له رضاً تشريعياً بمعنى ملاءمة تشريعه للمأتي به، وأما ما يقابل هذه الأمور المأمور بها مما تعلق به نهي فلا يتعلق بها رضى البتة لعدم ملاءمة التشريع لها كالكفر والفسوق كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ الزمر: ٧، وقال: ﴿ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[1]، وأن الله سبحانه على غناه من الناس لا يرضى لهم...، على أن الإنسان كفور بالطبع مع أنه يعرف ربه بالفطرة ولا يلبث عند الاضطرار دون أن

---

(١) التوبة٩٦.

يرجع إليه فيسأله كشف ضره» [1].

إذن الرضا صفة فعل لا صفة ذات، وفعله سبحانه ينقسم إلى تكويني وتشريعي، والتشريعي هو الذي تعلق به تكليف العباد، من إيمان وعمل صالح، وليس بالضرورة أن تكون أعمال العباد كذلك. إذن قول ابن تيمية باطل وغير تام.

(1) الطباطبائي، تفسير الميزان: ج 17 ص 242، كلام في معنى الرضا والسخط، الناشر: النشر الإسلامي- قم.

الآية الثانية

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّه وَالَّذينَ مَعَهُ أَشدَّاء عَلَى الْكُفَّار رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّه وَرضْوَانًا سيمَاهُمْ في وُجُوههم مِّنْ أَثَر السُّجُود ذَلكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاة وَمَثَلُهُمْ في الإنجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقه يُعْجبُ الزُّرَّاعَ ليَغيظَ بهمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات منْهُم مَّغْفرَةً وَأَجْرًا عَظيماً﴾ سورة الفتح: ٢٩.

قال الإمام مالك:

«بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة -رضي الله عنهم- الذين فتحوا الشام، يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا: ﴿ذَلكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاة﴾، ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ في الإنجيل كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي فراخه، ﴿ فَآزَرَهُ ﴾ أي: شده، ﴿فاسْتَغْلَظَ﴾ أي: شب وطال، ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوقه يُعْجبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي فكذلك أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ آزروه وأيدوه ونصروه، فهو معهم كالشطء مع الزراع ليغيظ بهم

الكفار»الاستيعاب لابن عبد البر: ج١ ص٦، طبعة دار الكتاب العربي بحاشية الإصابة، عن ابن القاسم. وتفسير ابن كثير: ج٤ ص٢٠٤، طبعة دار المعرفة – بيروت.

وقال ابن الجوزي:«**وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور» زاد المسير: ج٤ ص٢٠٤.**

المناقشة

يرد على هذا الاستدلال أمور:

أولاً: الرحمة والشدة على الكفار هما السبب الموجب للمغفرة والأجر.

إنّ الآية الشريفة ركزت على صفة الرحمة بينهم والشدة على الكفار، وهذه القيود هي التي أوجبت المغفرة والأجر، فمن لا يتصف بهذه الأمور يكون خارجاً موضوعاً. ولو تصفحنا تراجم بعض الصحابة لوجدنا- على سبيل المثال- أن عبد الرحمن بن عديس البلوي هو الذي قتل عثمان بن عفان، علماً أن عبد الرحمن البلوي هو من الذين بايعوا بيعة الرضوان، قال ابن الأثير في تأريخه: «**عبد الرحمن بن عديس البلوي أمير القادمين من مصر لقتل عثمان وكان ممن بايع النبي تحت الشجرة**»[1].

(١) ابن الأثير الجزري، الكامل في التأريخ: ج ٣ ص ٢٨٧. الناشر: دار صادر- بيروت.

أما (**معاوية بن أبي سفيان**) فواضح -ولا يخفى على عاقل- أمره حيث حارب الإمام علي عليه السلام وقتل في معركة صفين خيار الصحابة كعمار بن ياسر وخزيمة ذي الشهادتين وحجر بن عدي رضوان الله عليهم.

وأيضا نجد أن (**بسر بن أرطأة**) الصحابي[1]. قتل طفلين لعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، فإذن هذه مصاديق من الصحابة سلبت منهم الرحمة فكيف يمكن تطبيق الآية عليهم[2].

ثانياً: (من) تفيد التبعيض وليس البيان.

إن الآية الشريفة قالت: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا... مِنْهُمْ ﴾ و(**من**) تبعيضية، فهي مقصورة على بعض الأصحاب، وما قيل إنها بيانية مدفوع بما يلي:

أ- بأنها لا يمكن أن تدخل على الضمير مطلقاً[3].

ب- لو كانت (**بيانية**) لكان الأمر تحصيلاً للحاصل لأن الذين مع رسول الله صلى الله عليه وآله مبينون ومخصوصون بالوصفية والمعية وهم

---

(١) قال ابن حجر: بسر بن أرطاة ويقال بن أبي أرطاة واسمه عمر بن عويمر بن عمران القرشي العامري من صغار الصحابة مات سنة ست وثمانين، تقريب التهذيب: ج ١ ص١٢٥، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٣ ص ٨٩٥، دار الجيل- بيروت، ط ١٤١٢ هـ.

(٣) الطباطبائي، تفسير الميزان: ج ١٨ ص ٣٠١.

جميع الصحابة حسب الزعم؛ بدليل أن ضمير الجماعة بعدها يعود إليهم، أضف على ذلك لو قلنا إنها بيانية أيضاً فلم يشترط القرآن الحكيم الإيمان والعمل الصالح على الرغم أنهم بأسرهم مؤمنون وعاملون حسب المدعى.

ج - ثم لو اعتبرنا (**من**) بيانية وجنس الصحابة بيّن في الواقع الخارجي فمن الأولى أن يقول جلّ وعلا: (**وعدهم الله مغفرة وأجراً عظيماً**) وبما أنه لم يقل ذلك تبين أن (**من**) هي للتبعيض وليس للبيان.

ثالثاً: المنافقون لا يشملهم الوعد الإلهي.

المنافقون كيف ندخلهم في دائرة وعد الله بالمغفرة والأجر في حين إن الآيات تشير لهم بصراحة قال جل وعلا: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ**﴾[1].

فالمنافقون داخلون في جماعة المؤمنين حسب الظاهر؛ لذا فإن الله جل ذكره في هذه الآية نبّه إلى أن المغفرة والأجر هي للبعض وهم المؤمنون حقاً، ومن نماذج هؤلاء الأصحاب الذين اتصفوا بالنفاق:

(١) التوبة: ١٠١.

أ- ذو الخويصرة [١]. روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «**بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله أعدل، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال: عمر يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[٢].

ب- قزمان بن الحرث. قاتل في معركة أُحد قتال الأبطال حيث قال المسلمون عنه: ما أجزأ عنا أحد كمثل فلان، ولكن حينما ذُكر أمام رسول الله ﷺ قال إنه إلى النار، ينقل لنا ابن حجر العسقلاني قصته بعد أن أدرجه في الصحابة، قال:«**فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً فقتل ستة أو سبعة حتى أصابته الجراحة، فقيل له هنيئا لك بالجنة يا أبا الغيداق، قال: جنة من حرمل والله ما قاتلنا إلا على الأحساب**»[٣].

---

(١) ذكره ابن حجر في الصحابة، قال: «ذو الخويصرة التميمي ذكره بن الأثير في الصحابة» الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٢ ص٣٤٣.
(٢) البخاري، صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٧٩.
(٣) الإصابة: ج٥ ص ٣٣٥.

تناقض ابن حجر العسقلاني

غريب من ابن حجر هذا التناقض كيف يكون صحابياً ومنافقاً ومن أهل النار في آن واحد؟! ونفس ابن حجر يعترف في كتابه الإصابة أن له هذه الصفة، قال: «**فقال النبي** صلى الله عليه وآله **أما أنه من أهل النار، فقال رجل من القوم أنا أصاحبه، فخرج معه، قال: فجرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه، بالأرض ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه الحديث. وفي آخره: أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار**»[1].

إذن على ضوء ما تقرر فالمنافق لا يمكن؛ بل يستحيل أن يكون مشمولاً بهذا الخطاب القرآني.

رابعاً: تعديل الصحابة جميعهم خلاف العقل والشرع والفطرة.

إنّ قول مالك وابن الجوزي لا قيمة له بعدما تقدم؛ لأن المغفرة والرحمة والأجر شامل لبعض الصحابة، ممن محض الإيمان محضاً، ولا يمكن تعديته للجميع؛ لأنه خلاف العقل والشرع والفطرة، وما استشهد به في الآية الأخرى هو مصداق لمن صدّق برسول الله صلى الله عليه وآله ونصره في جميع المواطن، وممن

(١) الإصابة: ج٥ ص ٣٣٥.

كانت عواقب أموره وخاتمته خيراً، كما تقدم في خبر البراء بن عازب وغيره.

الآية الثالثة

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ سورة التوبة: ١٠٠.

والدلالة في هذه الآية ظاهرة، قال ابن تيمية:

«فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان. ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان» الصارم المسلول: ص٥٧٢، ومن اتباعهم بإحسان الترضّي عنهم والاستغفار لهم.

المناقشة

لنا وقفات حول تفسير هذه الآية الشريفة:

أولاً: المدح مشروط في ظرفه وهو قيد عقلي.

إن هذه الآية تمدح الأصحاب من المهاجرين والأنصار فهم جيل الصحابة الأوائل الذي بنو الإسلام على أكتافهم، وهذا صحيح؛ ولكن المدح لابد أن يكون في ظرفه وليس مطلقاً، أي

أن المدح والثناء لا بد أن يقيّد بعدم انحرافهم لاحقاً وبعدم ارتدادهم، وبقائهم على ما هم عليه، وهذا القيد لابد منه، فهو قيد عقلي وان لم يذكره المولى جل وعلا في كتابه، فان الله سبحانه وتعالى أطلق كلامه واعتمد على وضوح مثل هكذا قيد، وإلا لو لم نقيد ذلك فان الواقع يكذب مثل هكذا إطلاق؛ لأننا نعلم يقيناً أن هناك من انحرف عن مسيرة جيل الصحابة، وهناك من ارتد بشكل واضح؛ بل نزلت فيه آيات بخصوصه تذمه على ما وقع منهم من أقوال وأفعال.

قصة ثعلبة بن حاطب ودفاع ابن حجر العسقلاني عنه

وأوضح مثال على ذلك قصّة ثعلبة بن حاطب الأنصاري، وكيف انحرف وأصبح مورد لعنة وغضب رسول اللّه صلى الله عليه وآله [1].

---

(١) قصته مشهورة ونختصرها: فهو ممن امتنع من إعطاء الزكاة بعد أن طلب أن يدعوا له رسول الله أن يرزقه أموالاً فقال قولته التي أغضبت رسول الله صلى الله عليه وآله ما هذا إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يكلماه. يا ويح ثعلبة مرتين، فنزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال. إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل التراب على رأسه، فقال. هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني، فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء بها إلى أبى بكر فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر في خلافته فلم يقبلها، وهلك في زمان عثمان.

«اخرج هذا الحديث جملة من الحفاظ: الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن مندة والباوردي وأبو

لـذا نجـد أن ابـن حجـر فـي كتـاب الإصـابة عنـدما تـرجم لهـذا الصحابي وذكر قصته، فقال:

«اتفق على أنه ثعلبة بن حاطب وقـد ثبـت أنـهﷺ قـال لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية، وحكي عن ربـه أنـه قـال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكـم، فمـن يكـون بهـذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه وينـزل فيه ما نزل فالظاهر أنه غيره والله أعلم»[1].

مناقشة ابن حجر العسقلاني

إن ابن حجر أوقع نفسه في محذورين؛ إذ أنّه إمّا أن يناقض نفسه ويقر بكون هذه الواقعة صحيحة؛ لأنه خلاف مبناه، من أن الصحابة جميعهم عدول.

وإمّا أن ينكرها، وهذا خلاف ما جاء في كتب السيّر والتراجم من كون المقصود في هذه الواقعة هو ثعلبة بن حاطب[2]، ولـذا

نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر» نقلاً عن السيوطي في الدر المنثور: ج٣ ص ٢٦٠، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ج ١ ص ٥١٧، ترجمة ثعلبة بن حاطب الأنصاري.

(٢) وهذه الواقعة وردت بأصح الأسانيد فقد رواها ابن أبي حاتم في تفسيره: ج٦ص١٨٤٧، الذي شهد هو بصحة أسانيده وصحة رواياته قال: «سألني جماعة

نجده قد التّف على هـذه الحقيقـة بصـورة ملتويـة ومؤولـة وغيـر منطقية فكيف يجتمع قوله: أنه اتفـق علـى كـون المقصـود الـذي ذمه رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل فيه قراناً أنه ثعلبة بـن حاطـب مـع قولـه: (أنه غيره).

وهذا غريب من حافظ كابن حجر الذي يعد من كبار الحفاظ كيف يقع في هذا المحذور، ثم كيف يفسر لنا حكاية **(اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)**؟ أليس هذا يشكل طعناً في عدالة الله جـل وعلا؟! ألم يقل جل وعلا في محكم كتابه:

﴿سَوَاء عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِـرَ اللَّـهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1]. ألـم يكونـوا هـؤلاء قـد عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله ورأوه وسمعوا منه؟!.

وقد اخرج البخاري في كتاب فضائل القرآن تعليقاً حول هذه الآية الشريفة: «**إنّ رجلاً من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصـار، فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين، فسـمع**

مـن إخـواني إخـراج تفسـير القـرآن مختصـرا بأصـح الأسـانيد، وحـذف الطـرق والشواهد والحروف والروايات، وتنزيـل السـور، فـأجبتهم إلـى ملتمسـهم، وبـالله التوفيق، وإياه نستعين، ولا حول ولا قـوة إلا بـالله. فتحريـت إخـراج ذلـك بأصـح الأخبار إسنادا، وأشبهها متنا» انظر: تفسير ابن أبي حاتم الرازي: ج١ص١٤.مقدمة المؤلف. الناشر. المكتبة العصرية.

(١) المنافقون: ٦.

ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ! فقال النبي صلى الله عليه وآله: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[1].

أما سبب العفو وتعليله صلى الله عليه وآله أن الناس تتحدث بأن محمداً يقتل أصحابه، فقد علله النووي بقوله:

«وإنّما تركه النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنّه كان في أوّل الإسلام يتألّف الناس ويدفع بالتي هي أحسن ويصبر على أذى المنافقين ومن في قلبه مرض، ويقول: يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفروا، ويقول: لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه، وقد قال اللّه تعالى:

﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]»[1].

---

(١) صحيح البخاري: ج٦ ص ٦٦، سورة المنافقين، وصحيح مسلم: ج٨ ص ١٩. باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً.

(٢) المائدة: ٥-١٣.

إذن هذا الحديث صريح في أن المنافقين كانوا من الصحابة، فقد أقر رسول الله قول عمر بأنه منافق؛ ولكن منعه من قتله حتى لا يقال بأن محمداً يقتل أصحابه.

إذن ما أوّله ابن حجر ليس في محله؛ والتفسير الصحيح الموافق للقرآن والسنة والعقل هو: أن أصحاب بدر؛ بل وجميع الصحابة هم بشر يمكن أن يصيبوا ويمكن أن يخطأوا، ولا توجد حصانة إطلاقاً بمقتضى ما تقدم.

ثانياً: الرضا مقيد بآيات أخرى تمنعه من الإطلاق.

لو كان الرضا يشمل مثل هؤلاء فكيف نفسر كلام الله تعالى:﴿**فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقينَ**﴾[2]، فإنّ هذه الآية المباركة تتحدث بوضوح عن عدم رضا المولى جلّ وعلا عن أقوامٍ كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهم رأوه وشاهدوه وسمعوا منه.

ولسانها مطلق، ولكن العقل يأمرنا قهراً أن نقيد هذا الطلاق، فلو قال المولى عزّ وجلّ أقيموا الصلاة مثلاً، فهذا الحكم وإن

(١) شرح مسلم، النووي: ج١٥ص١٠٨. وقد نزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبي المنافق، أنظر تفسير القرطبي: ج٨ ص٢٣١، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٢) التوبة: ٩٦.

كان بظاهره مطلق يشمل حتى العاجز غير القادر؛ لكننا نقول من البعيد عن المولى أن يطلب من العاجز تحريكه وبعثه نحو إقامة الصلاة خارجاً، لأنه يقبح ذلك من المخلوق فضلاً عن الخالق الحكيم، فإذن يختص هذا الحكم بالشخص القادر.

وهناك بعض الآيات الأخرى التي تشبه هذه الآية، حيث رتبت الرضا ودخول الجنة على أوصاف معينة، ولكن لا أحد يلتزم بأن الحكم فيها مطلق وغير محدد، مثل قوله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرينَ الَّذينَ إذا أَصابَتْهُمْ مُصيبَةٌ قالُوا إنَّا للَّه وَ إنَّا إلَيْه راجعُونَ أُولئكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ منْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1].

فهل نستطيع القول: إنّ كلّ من صبر على مصاب فاسترجع وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فهذا شخص قد رضي الله عنه و إن كان مخالفاً لك في الاعتقاد، بل مخالفا للإسلام؟! لا أظن إن مثل هذا تلتزمون به.

وكذلك آية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إلاّ أَصْحابَ الْيَمينِ﴾[2].

(١) البقرة: ١٥٥-١٥٦.
(٢) المدثر: ٣٨-٣٩.

فالنفس في الآية كما ترى تشمل بظاهرها كل نفس حتى الأطفال والمجانين وغيرهم، مع أنه لا أحد يقول بدخولهم في هذه الآية؛ بل استثنوهم وهذا الاستثناء لم يكن من نفس اللفظ القرآني؛ بل هو استثناء عقلي.

ثالثاً: القول بأن الآية مطلقة مخالف للإجماع.

إن الآية الكريمة فيما لو لم نقيدها بما ذكرنا فسوف تدل على عصمة الأصحاب عملاً وإن لم يعترفوا بها بصورة نظرية، وأنهم لا يخطئون ولا يذنبون، مع أن الإجماع خلاف ذلك.

وأما القول بان الله سيغفر لهم ولو أنهم يخطئون، وإن هذا وعد لهم حتى لو عملوا ما عملوا من الذنوب؟ فهذا في الحقيقة إغراء لهم وهو خلاف حكم العقل.

رابعاً: الترضّي لبعض الأصحاب بقرينة (من) التبعيضية.

إن (**من**) في الآية الشريفة تبعيضية، فتفيد أن بعض الأصحاب من المهاجرين والأنصار لهم ذلك الترضّي. فلا يمكن تعميم هذا الحكم.

خامساً: لـ(السابقين) معنى خاص لا ينطبق على جميع الصحابة.

لو تنزلنا فإن الآية الشريفة نظرها إلى السابقين ولا يمكن أن نطبقها على جميع الصحابة، لأننا لو استفهمنا عن معنى السابقين لأجاب القرآن بقوله في سورة الواقعة:

﴿**السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾(١).

إذن فهناك معنى خاص للسابقين وهم في درجة عالية من القرب الإلهي وهذا القرب يفسره القرآن- لأنه كم قلنا يفسر بعضه بعضا- قال تعالى ﴿**إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾(٢).

فالمقرب هو ذلك الإنسان الذي يشهد كتاب الأبرار وهذه الشهادة من خصوصيات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فهو الشاهد على الأعمال وهو نوع من الغيب الإلهي اللدني الذي اختصه المولى ببعض أوليائه وأعطاهم مناصب إلهية لا تتعدى لغيرهم.

سادساً: المدح والإحسان مقيد بعدم الارتداد والانحراف.

(١) الواقعة: ١٠-١١.

(٢) المطففين: ١٨-٢١.

وأما ما قاله ابن تيمية فمردود؛ لأننا قلنا: إن المدح والإحسان لا بد أن يكون في ظرفه وليس مطلقاً، فلابد أن يقيّد بعدم انحرافهم لاحقاً، وبعدم ارتدادهم.

فقد روى مسلم في صحيحة وأحمد في مسنده وغيرهم، عن حذيفة قال:

«**في أصحابي اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل في سمّ الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة**[1]. **وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة فيهم**»[2].

ويقول ابن مليكة:

«**أدركت ثلاثين من أصحاب النبيﷺ كلّهم يخاف النفاق على نفسه**»[3].

---

(١) الدبيلة: هي شهاب من نار تقع على نياط قلب احدهم فيهلك، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ج٥ ص٢٥.

(٢) صحيح مسلم: ج٨ص١٢٢، رقم ٩: ٢٧٧٩، كتاب صفات المنافقين، مسند أحمد: ج٤ص ٣٢٠، ط إحياء التراث، البداية والنهاية لابن كثير: ج٥ص ٢٠، ط دار الفكر، وص٢٦ ط- دار إحياء التراث العربي، وتفسير ابن كثير: ج٤ص١٢٣، ط دار الفكر، ج٢ص٣٢٢ ط ـ دار القلم، ودلائل النبّوة للبيهقي: ج٥ص٢٦١ ط - دار الكتب العلميّة، وموسوعة أطراف الحديث: ج٥ص ٥٨٤ عن المغني عن حمل الأسفار للعراقي: ج٤ص١٦٢، وإتحاف السادة المتقين الزبيدي: ج٩ص٢١٩، ومشكاة المصابيح للتبريزي: رقم٥٩١٧.

(٣) صحيح البخاري: ج١ص١٧، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، وشرح مسلم للنووي: ج١ص١٤٩.

وروى كبار أهل السنّة كالطبري وابن كثير عن الخليفة عمر بن الخطاب، قوله لحذيفة: «**أنشدك اللّه أمنهم أنا؟ قال لا، ولا أؤمن منها أحداً بعدك**»[(١)]. وأنّه لم يكن يصلّي على أحد مات، إلاّ بعد شهادة حذيفة بعدم كونه من المنافقين؟!![(٢)].

وأمّا الكذب على النبيﷺ فقد ورد في مصادر أهل السنّة أيضاً كما قال ابن حزم الذي نقل عنه ابن تيميّة في منهاج السنّة كثيراً: فقد كُذب عليه وقال ﷺ: «**من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار**»[(٣)].

إذن تفسير هذه الآية على عدالة جميع الصحابة يتقاطع مع ما ذكرناه من الأحاديث الصحيحة النافية لعدالتهم؛ وعليه فكلام ابن تيمية لا يمكن أن يستقيم مع ما قررناه.

---

(١) ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير: ج٢ص٣٩٩، وجامع البيان للطبري: ج١١ص١٦.
(٢) ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير: ج٢ص٣٩٩، وجامع البيان للطبري: ج١١ص١٦.
(٣) ابن حزم، المحلى: ج٩ ص١١١ و ص٣٣٦.

الآية الرابعة

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ...إلى قوله تعالى: وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سورة الحشر: ٨ -١٠.

يبين الله عزّ وجلّ في هذه الآيات أحوال وصفات المستحقين للفيء، وهم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ﴾.

والقسم الثاني: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

والقسم الثالث: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ﴾.

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله: من هذه الآية الكريمة، أن الذي يسب الصحابة ليس له من مال الفيء نصيب؛ لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء- القسم الثالث- في قولهم:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ الآية، تفسير ابن كثير: ج٤ ص٣٣٩.

وقالت عائشة رضي الله عنها:

«أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ» رواه مسلم في

كتاب التفسير - حديث ٣٠٢٢، صحيح مسلم: ج٤ ص٢٣١٧.

فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن، فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم، لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبيﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين. الإمامة: ص ٣٧٥ - ٣٧٦ لأبي نعيم، تحقيق: د. علي فقهي، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة، ط١ عام ١٣٠٧ هـ

وعن مجاهد، عن ابن عباس، قال:«**لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون» الصارم المسلول: ٥٧٤، وانظر منهاج السنة: ج٢ ص١٤، والأثر رواه أحمد في الفضائل رقم ١٨٧، ١٧٤١، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية، ونسب الحديث لابن بطة، منهاج السنة: ج٢ ص٢٢.**

المناقشة:

لنا وقفات مع ما استدل به حول هذه الآية الشريفة:

الأولى:فهم النص القرآني يتوقف على مجموع الآيات السابقة واللاحقه له.

لأجل فهم مضمون هذه الآيات الشريفة فهماً صحيحاً؛ لابد من ذكر الآيات اللاحقة التي تلت سابقاتها، وذلك لأن القرآن

يفسر بعضه بعضاً، وأيضا مجموع سياق الآيات ككل تعطي الرؤية الصحيحة والواضحة للمراد القرآني، أما أن نقتصر على آية واحدة ونأخذ التفسير الذي يلائم الرأي الذي ينسجم مع توجهاتنا فهذا خلاف البحث العلمي.

أما الآيات اللاحقة لها فهو قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانهمُ الَّذينَ كَفَرُوا منْ أَهْلِ الْكتَاب لَئنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطيعُ فيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذبُونَ * لَئنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئن قُوتلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾[1].

إذن هذه الآية الشريفة تذكر المنافقين أيضاً، وهو إبطال لدعوى التعميم في كل من صحب ولقي النبيﷺ.

الثانية: النصر الإلهي مشروط بالصدق في القول والفعل.

ذيل هذه الآية لم يذكرها صاحب المقال، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئكَ هُمُ الصَّادقُونَ﴾[2].

فنسأل من هم الصادقون، أليس هم الصادقون في إيمانهم

---

(١) الحشر: ١٢-١٣.

(٢) الحشر: ٨.

والمخلصون لله سبحانه في جميع حالاتهم؟! فالآية لا تعم الذين في قلوبهم مرض، والذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم، فالآية الكريمة لسانها يتحدث على نحو الغالب، وبتعبير أدق لا تشمل إلا الصادقين منهم، وإلا فمن المهاجرين من أسلم وآمن حسب الظاهر وهاجر وائتمنه رسول الله صلى الله عليه وآله على الوحي، ثم ارتدّ عن الإسلام ولحق بعبادة الأصنام، وخير شاهد لما نقول: ما ورد في ارتداد **عبد الله بن سعد بن أبي سرح** كما ذكرت التواريخ والسير والمعاجم، قال ابن الأثير: **«وكان قد أسلم وكتب الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فكان إذا أملى عليه ﴿عزيز حكيم﴾ يكتب ﴿عليم حكيم﴾ وأشباه ذلك، ثم ارتد، وقال لقريش: إني اكتب أحرف محمد في قرآنه حيث شئت، ودينكم خير من دينه، فلما كان يوم الفتح فرّ إلى عثمان بن عفان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيّبه عثمان حتى اطمأن الناس، ثم أحضره عند رسول الله صلى الله عليه وآله وطلب له الأمان فصمت رسول الله طويلا، ثم آمنه فأسلم وعاد فلما انصرف، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: لقد صمتّ ليقتله أحدكم، فقال أحدهم: هلاّ أومأت إلينا فقال: «ما كان لنبي أن يقتل بالإشارة إن الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين»**[1].

(١) ابن الأثير، الكامل في التأريخ: ج ٢ ص٢٤٩، دار صادر - بيروت.

وكذلك ما ورد في **ثعلبة بن حاطب الأنصاري** وهو من أسلم وآمن ونصر وشهد معركة بدر الكبرى، ثم أعقبه الله نفاقاً، كما تقدمت قصته، فراجع.

الثالثة: المعتبر في الصدق هو الباطن والنيّات.

قال الشريف المرتضى رحمه الله:

«**[إن وصف] الصادق هو من تكاملت له الشرائط، ومنها ما هو مشاهد كالهجرة والإخراج من الديار والأموال، ومنها ما هو باطن لا يعلمه إلا الله تعالى وهو ابتغاء الفضل والرضوان من الله ونصرة الرسول، والله تعالى؛لأن المعتبر في ذلك ليس بما يظهر؛ بل بالبواطن والنيات فيجب على الخصوم أن يثبتوا اجتماع هذه الصفات في كل واحد من الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأموالهم**»[1].

الرابعة: السب والشتم الشيعة براء منه وهو أجنبي عن مفاد الآية.

إن إثارة السب والشتم أجنبي عن مفاد هذه الآية الشريفة، ولكن مع ذلك نقول: إن الشيعة براء من هذه التهمة، فالمذهب

(١) السيد المرتضى، الشافي في الإمامة: ج ٤ ص١٩، الناشر: مؤسسة إسماعيليان–قم.

الشيعي مبني على الرحمة والتسامح والحب والمودة، وقد أفرد الشيخ الكليني رضوان الله عليه في موسوعته الكافي بابين للنهي عن السب والشتم والتهمة وسوء الظن، وأنقل بعض تلك الأحاديث، منها:

ما رواه بسنده عن الإمام الصادق قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه**»[1].

وكذلك رواه بسنده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن رجلا من بني تميم أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: لا تسبوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم**»[2].

البهائي: ليس في مذهبنا وجوب السب

وانقل كلام لبعض علمائنا الأجلاء وهو عز الدين العاملي والد الشيخ البهائي رضوان الله عليه في مناظرة له مع علماء حلب في سوريا، حيث قال:

---

(١) الكليني، الكافي: ج٢ص ٣٦٠ باب السباب.
(٢) المصدر نفسه: ج٢ص ٣٦٠.

«ليس في مذهبنا وجوب سبّهم، وإنّما يسبّهم عوام الناس المتعصّبون، وأمّا علماؤنا فلم يقل أحد بوجوب سبّهم، وهذه كتبهم موجودة.

وأقسمت له أيماناً مغلّظة[١] بأنّه لو عاش أحد ألف سنة وهو يتديّن بمذهب أهل البيت عليهم السلام ويتولّاهم، ويتبرّأ من أعدائهم، ولم يسبّ الصحابة قطّ، لم يكن مخطئاً، ولا في إيمانه قصور»[٢].

فسنة السب واللعن ليس من مذهبنا؛ بل إنّ هذه السنّة هي من أفعال المدرسة الأموية، التي نرى اليوم من يدافع عنها، ويتبنى فكرها، وهذا غير خفي على البصير، فإن معاوية كان يلعن علياًعليه السلام، ويقنت بذلك في صلاته، واتخذ لعنه سنّة في الجُمع والأعياد، وبقي شيعة معاوية يلعنون علياً نحو ستين عاماً، حتى منع ذلك عمر بن عبد العزيز، يقول ابن أبي الحديد:

«إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب علي عليه السلام والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنة في أيام بنى أمية إلى أن قام عمر بن عبد العزيز رضى الله

---

(١) قاله في مناظراته مع أحد علماء حلب في سوريا.
(٢) المناظرات لمقاتل بن عطية بتحقيق الورداني: ص٧٧

تعالى عنه فأزاله.

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إن أبا تراب الحد في دينك، وصد عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذابا أليما وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر، إلى خلافة عمر بن عبد العزيز»[1].

وروى ابن أبي الحديد أيضاً، قال:

«إن قوما من بنى أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل ! فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاك فضلا!»[2].

وأخرج مسلم من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: **«أمر معاوية ابن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب، قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهن أحبّ إلي من حمر النعم»**[3].

---

(١) نهج البلاغة: ج٤ص٥٦. فصل فيما روى من سب معاوية وحزبه لعلي.

(٢) نهج البلاغة: ج٤ص٥٧.

(٣) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٠، باب فضائل علي بن أبي طالب، الناشر: دار الفكر بيروت.

أسئلة واستفهامات

هناك استفهامات تراود العقل منها:

أولاً: هل أن أمير المؤمنين عليه السلام مستثنى من بين الصحابة عن شمول تلكم الأحكام- أي عدالته المطلقة-؟ فلا نحاكم من نال منه عليه السلام أو وقع فيه كمعاوية ابن أبي سفيان الذي اتخذ السب واللعن سنّة لمدة ستين سنة، إذن فكيف تؤولون ذلك وأنتم المدافعون عن أقوال وأفعاله

ثانياً: إن علياً عليه السلام كان أحد الخلفاء الراشدين، وبالإجماع المتسالم عليه بين فرق الإسلام كلها، ونعتقد أنكم تقرون بذلك.

فلماذا تغمضون أعينكم عمن يسب علياً جهاراً نهاراً.

أليس هذا كاشف عن تناقض في إقراركم بخلافة علي وكونه من الخلفاء الراشدين، فلماذا لا يسري هذا الإطلاق للجميع بما فيهم علي عليه السلام.

ثالثاً: هناك من قال بكفر من سبَّ الشيخين وزندقة من سب عثمان، روى الحاكم النيسابوري في مستدركه بسند صحيح عن عويم بن ساعدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«إن الله تبارك وتعالى اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة

والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صـرف ولا عـدل. هـذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» [(١)].

ألـيس الناصـر والـوزير والأخ لرسـول ﷺ هـو علـي بـن أبـي طالب؟ فهذا حديث المؤاخاة ينطق بأعلى صوته بهذه الحقيقة.

روى المتقـي الهنـدي فـي كنــز العمـال عـن أحمـد، وابـن عسـاكر، وأخرجـه البغـوي فـي معجمـه، والبـارودي وابـن قـانع والطبراني عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه (من مسند زيد بـن أبي أوفى):

«لما آخى النبيﷺ بين أصحابه، قال علي: لقد ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري فـإن كان هذا من سخط علي فلـك العتبـى والكرامـة، فقـال رسـول اللهﷺ: والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسـي وأنـت منـي بمنـزلة هارون من موسى غير أنـه لا نبـي بعـدي وأنـت أخـي ووارثي» [(٢)].

---

(١) الحـاكم النيسـابوري: المسـتدرك علـى الصـحيحين. ج ٣ص ٦٣٢. الناشـر: دار المعرفة- بيروت.

(٢) المتقي الهندي، كنـز العمال: ج ٩ ص ١٦٧، لناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. والدر المنثور: ج ٤ ص ٣٧٠. وقد ذكر الشيخ الأميني رحمـه الله خمسـون حـديثاً

وفي بعض النصوص: «**والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي أنت أخي ووارثي، أنت أخي ورفيقي، أنت أخي في الدنيا والآخرة**»[1].

قال الشيخ الأميني رحمه الله:

«**بل أقول عجباً للصلافة التي تحدو الإنسان لأن يقول: لا يصح غير حديث حسبه صحيحاً ويجهل مفاده أو يعلم ويحب أن يغري الأمة بالجهل، ثم يعطف على حديث اعترفت به الأمة جمعاء وجاء مثبتاً في الصحاح والمسانيد ويراه باطلاً أهكذا حب الشيء يعمي ويصم؟! أهكذا خلق الإنسان ظلوماً جهولاً؟! هذه الأخوة بالمعنى الخاص الثابتة لأمير المؤمنين مما يخص به عليه السلام ولا يّدعيها بعده إلا كذاب على ما ورد في الصحيح، وكانت مطّردة بين الصحابة كلقب يعرف به، تداولته الأندية، وحوته المحاورات، ووقع الحجاج به، وتضمنه الشعر السائر**»[2].

إذن فهل تقولون بلعن أو كفر معاوية على ضوء هذه الأحاديث ومن مصادركم، أو على أقل تقدير تخطئون أفعاله ولا تترضون

في المؤاخاة، من عدة طرق وقد أثبت صحة هذا الحديث سنداً ودلالة، أنظر: الغدير: ج ٣ ص ١١٣- ١٢٠.

(١) الأميني، الغدير: ج ٣ ص ١١٣، دار الكتاب العربي- بيروت.

(٢) المصدر نفسه: ج ٣ ص ١١٣.

عليه، أرجو التأمل والتعقّل والإنصاف والتفكّر ملياً، لا أن تتهموا الشيعة بالسب واللعن، وتتركوا تراثكم الحديثي المملوء بسب علي عليه السلام وشيعته.

الآية الخامسة

قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي منكُم مَّنْ أَنفَقَ من قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذينَ أَنفَقُوا من بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ سورة الحديد:١١. والحسنى: الجنة. قال ذلك مجاهد وقتادة، تفسير ابن جرير: ج٢٧ ص١٢٨، دار المعرفة – بيروت، ط الرابعة ١٤٠٠ هـ

واستدل ابن حزم من هذه الآية بالقطع بأن الصحابة جميعاً من أهل الجنة لقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ الفصل: ج٤ ص١٤٨،١٤٩.

المناقشة

والجواب أيضاً من وجوه:

أولاً: الشمولية لا تجتمع مع الطلقاء والعتقاء الذين لم ينفقوا ولم يقاتلوا.

أنقل قول الشيخ حسن بن فرحان المالكي فيمن استدل بهذه

الآية على عدالة جميع الصحابة وإنهم من أهل الجنة، قال:

«الغريب أن بعض الناس يستدل بهذه الآية على أن كل الصحابة - حسب مفهومهم للصحبة - في الجنة!!؛ لأن الله قد وعد المتقدمين منهم والمتأخرين بالجنة، ووعده حق لن يخلفه؟!.

أقول: إما أن تكون هذه الآية تشمل المهاجرين والأنصار- من أنفق من قبل الفتح وقاتل- وتفضلهم على من جاء بعدهم إلى فتح مكة فقط، ولا تشمل الطلقاء، ولا العتقاء، ولا غيرهم، ممن لم يقاتل ولم ينفق في هذه الفترة؛ لأن سورة الحديد نزلت قبل فتح مكة، وعلى هذا فلا يشملهم الثناء، ثم هي مقيدة بالإنفاق والقتال، مثلما الثناء على المهاجرين والأنصار لا يشملنا، فكذلك الثناء على المسلمين من بعد الحديبية إلى فتح مكة لا يشمل من أسلم في الفتح أو بعد ذلك.

وإما أن تكون الآية شاملة لهؤلاء ولنا من باب الأولى، لكن هناك شرط (الإحسان) الذي سبق في الآية السابقة، بمعنى أن الله وعد بالجنة المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان!!، أما المتبعون بغير

الإحسان فلا يقال فيهم هذا. والخلط في هذه الأمور هو الذي سبب لنا الخلل الكبير في الرؤية التعميمية، التي خلطنا بها الطلقاء

مع السابقين، فلا بد من وضع الأمور في مواضعها الصحيحة»[(١)].

ثانياً: لا علاقة بين الإنفاق والعدالة.

إنّ خطاب الآية الشريفة لا يرتبط بعدالة جميع الصحابة؛ بل الخطاب جاء لمدح المنفق في سبيل الله سواء كان قبل الفتح أو بعده ولكن هناك خصوصية لمن أنفق وقاتل قبل الفتح فلا يستوون في مرتبة الإحسان الإلهي، ومعلوم أن الإحسان له شروط فهو مقيد بالإيمان والعمل الصالح، وقد تقدم ذكره فلا نطيل.

إذن فتركيز الآية على عظم موقع الإنفاق قبل الفتح ولا علاقة له بالعدالة المطلقة للصحابة التي قال الفخر الرازي:« **وأيهما كان [قبل الفتح أو بعده] فقد بين الله عظم موقع الإنفاق قبل الفتح»**[(٢)].

الآية السادسة

قوله تعالى: ﴿**لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[(٣)]. سورة التوبة: ١١٧.

---

(١) حسن بن فرحان المالكي الصحبة والصحابة: ص٣١، مركز الدراسات التأريخية.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير: ج ٢٩ص ٢١٨.

(٣) التوبة: ١١٧.

وقد حضر غزوة تبوك جميع من كان موجوداً من الصحابة، إلا من عذر الله من النساء والعجزة، أما الثلاثة الذين خُلفوا فقد نزلت توبتهم بعد ذلك.

المناقشة

ويرد على هذا الاستدلال أمور:

الأول: التوبة منوطة بالاتباع للنبي ﷺ.

لو تتبعنا سياق الآية الشريفة في قوله(الذين اتبعوه) فهنا قيد وشرط واضح لقبول التوبة وهو الاتباع للنبي ﷺ وقد تقدم أن هناك من الصحابة من خالف النبي ونافق ونزل فيه قرآناً.

الثاني: سورة التوبة هي الفاضحة والكاشفة للمنافقين.

إن هذه الآية هي من سورة التوبة، فلو نظرنا الى الآيات الأخرى من هذه السورة لوجدناها تشدد النكير على المنافقين، وهذا يدل على أن المراد بالتوبة والرحمة والرأفة في هذه الآية هي لفئة قبل الله توبتهم.

ومن الآيات التي ذكرتها سورة التوبة التي جاءت في نفس السياق التي تذم المنافقين نذكر منها:

قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّه مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ

وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ (١).

وقوله تعالى:﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (٢).

وهناك آيات أخرى وهم ممن رأوا النبي وصحبوه منها:

قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾ (٣).

وقوله تعالى:﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ...﴾ (٤).

وقوله تعالى:﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ...﴾ (٥).

وقوله تعالى:﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ...﴾ (٦).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ...﴾ (٧).

---

(١) التوبة: ٧٤.
(٢) التوبة: ١٠١.
(٣) التوبة: ٦٧.
(٤) التوبة: ١٠٦
(٥) التوبة: ٤٩.
(٦) التوبة: ٧٥.
(٧) التوبة: ٥٨.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ..﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ...﴾ [2].

وقوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا..﴾ [3].

لذا جاء تسميتها بعشرة أسماء كالفاضحة والكاشفة والمبعثرة وغيرها؛ لأنها كانت تكشف نفاق بعض ممن عاش مع النبي صلى الله عليه وآله.

روى السيوطي في الدر المنثور عن سعيد بن جبير:

« **قال: قلت لابن عبّاس: سورة التوبة؟ فقال: التوبة؟! بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل (ومنهم...) حتّى ظننّا أن لن يبقى منّا أحد إلاّ ذُكر فيها**»[4].

وتسمّى بالمبعثرة:« **روى عن ابن عبّاس، لأنّها تبعثر عن أسرار المنافقين، أي تبحث عنه**»[5].

إذن سورة التوبة هي الفاضحة للمنافقين فكيف يصح لنا

(1) التوبة: 79.
(2) التوبة: 61.
(3) التوبة: 102.
(4) الدر المنثور: ج4ص120.
(5) الطبرسي، مجمع البيان: ج5ص5.

القول بان الله تاب عليهم لمجرد الصحبة ولو للحظة واحدة.

الثالث: التوبة لخصوص المؤمنين وليس الكل.

لعل استفهام يرد بالفطرة وهو: لماذا لم يخبرنا الله عز وجل أنه قد تاب على كل جيش النبيصَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ يوم تبوك؟!

لماذا لم يقل الله عز وجل: (لقد تاب الله على النبي والذين آمنوا الذين (اتبعوه في ساعة العسرة..)؟! أو (... على النبي والمؤمنين...)؟!.

الجواب يبدو واضحاً: بأن تخصيص الله عزّ وجّل المهاجرين والأنصار بالتوبة لخصوص البعض وليس الكل، وأنه تاب عليهم، أما غيرهم ممن أتى بعدهم، بعد صلح الحديبية، فلا يجوز الجزم بالتوبة عليهم، وإنما نسكت عنهم، كما سكت الله عنهم، إلا من ثبت له ذلك بدليل خاص، والغريب أن بعض الذين يخلطون الأمور يستدلون بالآية السابقة على أن الله تاب على جميع الصحابة!! مع أن الله عز وجلّ كان يستطيع أن يقول ذلك، ويعمم التوبة على كل المؤمنين يومئذ، ولكنه لم يقتصر إلا على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة وأخلصوا له في القول والفعل، فلا يمكن أن نجزم ونعمم التوبة لجميع المهاجرين والأنصار.

إذن من خلال ما تقدم ثبت بطلان جميع الاستدلالات التي

أوردوها في عدالة جميع الصحابة، فالآيات الكريمة وكذلك الأحاديث تأبى عن حمل تلك الآراء على عدالة الجميع بمجرد الرؤية ولو للحظة واحدة كما مرّ ذلك في تعريف الصحابي.

وللوقوف على الآيات الكريمة الذامة لبعض الصحابة نذكر بعض منها؛ لكي يكون ما قدمناه واضحاً بلحاظ هذا الدليل القرآني الصريح.

الآيات الدالّة على ذم بعض الصحابة

من تأمل في آيات الذكر الحكيم يجد طائفتين من الآيات المادحة والقادحة في الصحابة- وقد تقدم ذكر الآيات المادحة- فنجد هناك تركيزاً خاصّاً على المنافقين الذين كانوا على مقربة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فكشف عن نواياهم ونفوسهم المريضة وندّد بهم في كثير من الآيات الشريفة مما يدل على أن عملهم كان يضر بمشروع الرسالة الفتية، وهذا إن دل فهو يدل على عدم وجوب اتباعهم لسنته صلى الله عليه وآله، وعدم التزامهم بأوامره ونواهيه، وعدم إدراكهم لمعنى النبوة والرسالة التي بذل من أجلها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كل غال ونفيس من أجل بناء مجتمع صالح يحمل قيم ومبادئ الإسلام للبشرية جمعاء.

لذا سنقف على ذكر بعض الآيات التي تدل على نفاق بعضهم ومرض قلوبهم ومن يشكك ويثير الفتن وكذلك السماع للمنافقين ومن يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله ومن يظنون بالله ورسوله الظنون الكاذبة.

ذم المنافقين بشكل عام

١- قوله تعالى ﴿إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ

اللَّه وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[(١)].

فهذه الآية الشريفة لسانها يدل على وجود جماعة من المنافقين المعروفين بالنفاق بين الصحابة آنذاك، وكان لهم شأن ودور في المجتمع الإسلامي بحيث نزلت في حقّهم هذه الآية الشريفة.

ذم المنافقين المختفين حول المدينة

٢ ـ قوله تعالى ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾[(٢)].

وهذه الآية واضحة في دلالتها على وجود المنافقين المختفين حول المدينة مردوا على النفاق، فجاء تنبيه المولى جل وعلا للرسول الكريم لهؤلاء ومدى خطرهم على الإسلام.

قال ابن كثير:« **يخبر تعالى رسوله صلوات اللّه وسلامه عليه أن في أحياء العرب ممّن حول المدينة منافقون وفي أهل المدينة أيضا منافقون «مردوا على النفاق» أي: مرنوا واستمرّوا عليه»**[(٣)].

---

(١) المنافقون: ١.

(٢) التوبة: ١٠١.

(٣) ابن كثير الدمشقي، تفسير ابن كثير: ج٢ص٣٩٨الناشر. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت.

ذم المنافقين الذين في قلوبهم مرض

٣ - قوله تعالى ﴿و إذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبهم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا﴾ [1]. ودلالة الآية واضحة في مدى تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وبالتالي تكذيبهم لله جل وعلا.

ذم الذين يشككون ويثيرون الفتن والسماعين للمنافقين

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [2].

فهناك من يبغي الفتنة وهناك السماعون لهم؛ لذا وصفهم المولى في ذيل الآية الشريفة بالظالمين.

ذم الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الأحزاب: ١٢.

(٢) التوبة: ٤٥، ٤٦، ٤٧.

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

ذم الذين يظنون بالله ورسوله ظن الجاهلية

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[2].

إذن مما تقدم من مجموع هذه الآيات اتضح أن هناك من الصحابة لا يمكن أن ينطبق عليه تعريف المدرسة السنية؛لأن البعض منهم كان يعيش عقدة النفاق والمرض وكانت رواسب الجاهلية تتغلغل في نفوسهم فلا يمكن والحال هذه أن نحكم بصواب ما قدموه من رؤية لمفهوم عدالة الصحابي.

---

(١) التوبة: ٦١.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

ثم انتقل الدكتور الوهيبي إلى الأحاديث التي يرى أنها تثبت عدالة جميع الصحابة، نذكر منها على سبيل المثال:

(لا تسبوا أحداً من أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل احد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) أو الحديث الآخر(وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) أو (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) أو(أكرموا أصحابي فإنهم خياركم) وهكذا بقية الأحاديث .

وهذه الأحاديث كما ترى لا يمكن أن نتعبد بها؛ لأننا لا يمكن أن نحملها على إطلاقها فان الواقع يشهد بانحراف بعض الصحابة كما تقدم من بحثنا فهناك من يحمل عقدة النفاق والمرض وكانت رواسب الجاهلية تتغلغل في نفوسهم، فكيف يصح أن نعصمهم ونقول بعدالتهم جميعا، أضف إلى ذلك أن هناك أحاديث أخرى كحديث الحوض وغيره تناقض هذه الأحاديث كما رواه البخاري في صحيحه:« ليردن علي الحوض رجال ممن صحبني ورآني، حتى إذا رفعوا إلي رأيتهم اختلجوا دوني ، فلأقولن : يا رب أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» وسيأتي الكلام عنه مفصلاً .

إذن لابد أن نحمل هذه الأحاديث على أن الميزان في عدالة الصحابي هي سيرته العملية وتقواه والتزامه بأقوال رسول الله ﷺ فهي القول الفيصل في تقيم الصحابة .

لذا نجد بعض من أعلام السنة التفت لهذا الأمر ونقد أفعال بعضهم ووضعهم في الحجم الحقيقي الذي لايعدو كونهم في دائرة البشرية ففهيم المنافق وفيهم المرتد وفيهم الصالح أيضاً .

أقوال علماء السنة الذامة لبعض الصحابة

نذكر جملة من بعض العلماء الذين تتفق كلماتهم مع ما تقدم من ذكر الآيات الكريمة التي ذكرت المنافقين وذمتهم.

١- ابن الجوزي(ت/٥٩٧هـ) في زاد المسير، قال:

«قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه ما فرغ من تنزيل براءة حتّى ظننّا أن لن يبقى منّا أحد إلاّ ينزل فيه شي»[(١)].

وواضح قول الخليفة عمر أن هناك مجموعة كبيرة من المنافقين في ذلك المجتمع، لاسيما بعد نزول سورة براءة، بحيث كان يخشى على نفسه من نزول آيات قرآنية فيهم.

٢- ابن كثير الدمشقي(ت/٧٧٤هـ) في تفسيره، قال:

«وذكر لنا أنّ عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه كان إذا مات رجل ممّن يرى أنّه منهم، نظر إلى حذيفة فإن صلّى عليه وإلاّ تركه»[(٢)].

٣- السيوطي(ت/٩١١هـ) في الدر المنثور،قال:

«وأخرج أبو عوانة وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير: ج٣ص ٣١٦، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١٤٠٧هـ، والدر المنثور: ج٣ ص٢٠٨.

(٢) ابن كثير الدمشقي،تفسير القرآن العظيم: ج٢ ص ٣٩٩. الناشر. دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، ط ١٤١٢ هـ

ابن عباس رضى اللّه عنهما «أنّ عمر رضى اللّه عنه قيل له سورة التوبة قال هي إلى العذاب أقرب، ما أقلعت عن الناس حتّى ما كادت تدع منهم أحداً»[1].

٤- ابن العماد الحنبلي(ت/١٠٨٩هـ) في شذرات الذهب، قال:

«وكان حذيفة صاحب السرّ المكنون في تمييز المنافقين، ولذلك كان عمر لا يصلي على ميّت حتى يصلّي عليه حذيفة، يخشى أن يكون من المنافقين»[2].

إذن هذه شهادة توثيقية لأقوال بعض العلماء تثبت صحة ما قلناه من أن الصحابة لم يكن جملة كبيرة منهم يتبعون سنة النبي ﷺ بل إن القرآن وبخهم في مواطن كثيرة كما تقدم في بحثنا في الآيات الذامة لهم.

---

(١) السيوطي، الدر المنثور: ج٣ص٢٠٨، الناشر. دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب: ج١ ص٤٤، حوادث سنة ٣٦ تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط. الناشر: دار بن كثير - دمشق ط١ ١٤٠٦هـ.

تأملات في حديث الحوض

بعدما تقدم من ذكرنا للآيات الكريمة الذامة لبعض الصحابة وأقوال العلماء المؤيدة لتلك الآيات، أنقل بعض ما ورد في صحيح البخاري ومسلم للحديث المشهور عند الفريقين، وهو حديث الحوض الواضح الدلالة في ارتداد بعض الصحابة وأنهم أحدثوا وغيروا وبدلوا بعده صلى الله عليه وآله؛ ومعلوم أن سند هذه الروايات وردت في أصح الكتب وهما كتاب الصحيحين اللذين يمثلان أصح الكتب وأتقنها وأضبطها بعد القرآن.

قال النووي في مقدمة شرحه على صحيح مسلم:

«اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول»[1].

وقال ابن حجر الهيتمي:

« هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد به»[2].

وهناك أقوال أخرى ذهبت إلى الغلو في الصحيحين أعرضنا

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم: ج١ ص١٤ الناشر. دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١٤٠٧هـ

(٢) ابن حجر الهيتمي: الصواعق المحرقة: ج١ ص٣١، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ

عنها مخافة الإطالة. إذن لنرى ماذا تقول أصح الكتب عن الصحابة.

١- روى البخاري ومسلم بسندهما:

« عن بن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم إني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس من دوني فأقول يا رب مني ومن أمتي، فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم، فكان ابن أبي مليكة يقول اللهم إنا نعوذ بك ان نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا»[1].

٢ - روى البخاري ومسلم بسندهما:

« عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:... وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي، أصحابي. فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم»[2].

(١) صحيح البخاري: ج٧ص٢٠٩، كتاب الرقاق. صحيح مسلم: ج٧ص٦٦، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته.

(٢) صحيح البخاري: ج٤ص ١١٠، كتاب بدء الخلق. صحيح مسلم: ج٨ص١٥٧، باب في صفة يوم القيامة.

٣ – روى البخاري بسنده:

« عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول يا رب أصحابي، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري»[١].

٤– روى البخاري في صحيحه بسنده:

« عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم، فقلت أين قال إلى النار والله، قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم، قلت أين قال إلى النار والله، قلت ما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»[٢].

فالمتأمل بدلالة هذه الأحاديث الصريحة والواضحة وكونها في أصح أسانيد الكتب لا يتردد؛ بل يقطع في أن هناك من

(١) صحيح البخاري: ج٧ص ٢٠٨، كتاب الرقاق.
(٢) المصدر نفسه: ج٧ص ٢٠٨، كتاب الرقاق.

الصحابة من أحدثوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وارتدوا على أدبارهم.

إذن فهل يحق لنا أن نصف الجميع بالعدالة وإن أقوالهم حجة علينا، نعتقد أن العقل والنقل والفطرة السليمة تأبى عن قبول ذلك.

الصحابة في ميزان العقل والنقل

ولصدق ما ندعي ننقل نماذج من بعض أفعال الصحابة الذين لابد أن نوزنهم بعقولنا - فهو حجة علينا- هذه الهبة الإلهية، لنرى هل هي مطابقة لما يُدعى، من أن الصحبة عاصمة ولو للحظة معينة؟ وهل يصح التعبد بهذا القول، وإلا اتهمنا بالخروج عن ملة الإسلام.

ونحن عندما نتعرض لذكر هذه الأمثلة- كما قلنا ذلك مراراً وتكراراً- لا يعني أننا نلغي تلك الجهود التي بذلها البعض الآخر ممن حملوا لواء الإسلام وبذلوا الغالي والنفيس بأنفسهم ودمائهم، التي أراقوها في ميدان الحرب باذلين بذلك مهجهم في سبيل إعلاء راية الإسلام في بقاع الأرض، كما تقدم في بحوثنا التمهيدية.

إذن لنرى بعض ما كتب وترجم لبعض الصحابة وما فعلوه في تلك الحقبة التأريخية.

تاركين الحكم للعقول السليمة التي ترجّح ما يكتب وينقل.

نماذج لبعض أفعال الصحابة

١- سمرة بن جندب بن هلال (ت/٥٨ هـ)

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس، قال:

« بلغ عمر أن سمرة باع خمراً، فقال: قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها» [١].

وواضح من هذه الرواية أن سمرة بن جندب باع الخمر، وهو يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله حرم شربها وبيعها، لذا جاء تأنيب وتعنيف الخليفة عمر له.

ولم يكتف الصحابي (سمرة) من هذا الفعل؛ بل يروي لنا التأريخ- وليته لم يرو- الطامات لأفعال هذا الرجل مما سود به صفحات التأريخ نفسه.

روى الطبري في تأريخه بسنده:

« عن محمد بن سليم، قال: سألتُ أنس بن سيرين هل كان سمرة قتل أحداً؟ قال: وهل يحصى من قتله سمرة بن جندب، استخلفه زياد على البصرة، وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية

(١) صحيح مسلم: ج٥ص٤١ باب تحريم الخمر والميتة.

آلاف من الناس، فقال له: هل تخاف أن تكون قد قتلت أحداً بريئاً؟ قال: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت»[١].

وروى أيضاً عن أبي سوار العدوي قال:

« قتل سمرة بن جندب من قومي في غداة سبعة وأربعين رجلاً قد جمع القرآن»[٢].

وواضح وجلي من تلكم الروايتين أن هذا الصحابي قد قتل آلاف الناس من المسلمين ولطخت يداه بقتل من جمع القرآن.

فلو سألنا التأريخ:

كيف جاز لك أن تسود هذه الصفحات بأمثال هؤلاء، فهي صفحات يندى لها الجبين ؟ وهل يحق للآخرين أن يقسروا عقول الناس على إضفاء القداسة عليه، ونأخذ أحكامنا منه؛ بل أن نسكت عن ذلك ونرضى ونترضى ؟!

٢- سهيل بن عمرو القرشي، أبو جندل

ينقل ابن حجر في الإصابة:

«وجد أبا جندل بن سهيل وضرار بن الخطاب وأبا الأزور وهم

---

(١) تاريخ الطبري:ج٤ص١٧٦. حوادث سنة(٥٠).

(٢) المصدر نفسه:ج٤ص١٧٦.

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد شربوا الخمر فقال أبو جندل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات الآيات فكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن أبا جندل خصمني بهذه الآيات فكتب عمر إليه الذي زين لأبي جهل الخطيئة ومن له الخصومة فأحددهم فقال أبو الأزور إن كنتم تحدوننا فدعونا نلقى العدو غدا، فإن قتلنا فذاك وإن رجعنا إليكم فحدونا فلقوا العدو فاستشهد أبو الأزور وحد الآخران »[1].

وابن حجر لم ينقل ذيل الرواية التي رواها عن عبد الرزاق صاحب المصنف: وذيل الرواية هو:

«..استشهد أبو الأزور وحد الآخران، قال: فقال أبو جندل: هلكت، فكتب بذلك أبو عبيدة إلى عمر، فكتب إلى أبي جندل وترك أبا عبيدة، أن الذي زين لك الخطيئة حظر عليك التوبة»[2].

---

(١)ابن حجر العسقلاني، الإصابة:ج٧ص٩. تاريخ الطبري:ج٤ ص ٩٧،كنز العمال:ج ٥ ص ٥٠٠.

(٢) عبد الرزاق الصنعاني، المصنف:ج٩ص٢٤٥، الناشر: منشورات المجلس العلمي.

فهذا الفعل أدركة الخليفة عمر، وأرسل لهذا الصحابي كتاباً شديد اللهجة رفض فيه التوبة.ولعل ذلك لعلمه أنه لم يرتدع لو صفح عنه.

٣- مسلم بن عقبة الأشجعي

هذا الصحابي لم تسلم منه المدينة من القتال ونهب أموال الناس وهذا ما يرويه الطبري في تأريخه، قال:

«ولمّا فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جنده أموالهم ثلاثاً، شخص بمن معه من الجند متوجهاً إلى مكة،..حتى انتهى الى المشلل أو إلى قفا المشلل نزل به الموت»[1].

٤- قدامة بن مظعون بن حبيب القرشي

قال عبد الرزاق الصنعاني في المصنف:

« سمعت أيوب بن أُبي يقول: لم يحدّ في الخمر أحد من أهل بدر إلاّ قدامة بن مظعون»[2].

قال ابن عبد البر في الاستيعاب:

«استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين ثم

(١)تأريخ الطبري:ج٤ص٣٨١، حوادث سنة (٦٤ هـ).

(٢)تأريخ الطبري:ج٤ص٣٨١، حوادث سنة (٦٤ هـ).

عزله وولى عثمان بن أبي العاص وكان سبب عزله ما رواه معمر عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الله ابن عامر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب استعمل قدامة بن مظعون على البحرين وهو خال عبد الله وحفصة ابني عمر بن الخطاب فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر بن الخطاب من البحرين فقال يا أمير المؤمنين إن قدامة شرب فسكر وإني رأيت حدا من حدود الله حقا علي أن أرفعه إليك فقال عمر من يشهد معك فقال أبو هريرة فدعى أبو هريرة فقال بم تشهد فقال لم أره يشرب ولكني رأيته سكران يقيء..الخ»[1].

٥- مالك بن حبيب الثقفي أبو محجن

قال عبد الرزاق في المصنف:

«وأما ابن جريج فقال: بلغني أن عمر بن الخطاب جلد أبا محجن ابن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي في الخمر سبع مرات»[2].

وترجم له ابن عبد البر في الاستيعاب،قائلاً:

(١) ابن عبد البر: الاستيعاب:ج٣ص١٢٧٧-١٢٧٨. الناشر:دار الجيل.

(٢) المصنف:ج٩ص ٢٤٩. وقد أفرد الحافظ عبد الرزاق الصنعاني باباً برأسه لمن جلد وحد من الصحابة، أسماه (باب من حد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم).

« كان شاعراً مطبوعاً كريماً إلاّ أنّه منهمكاً في الشراب لا يكاد يُقلع عنه، ولا يردعه حدّ ولا لوم لائم،..وجلده عمر بن الخطاب في الخمر مراراً ونفاه إلى جزيرة في البحر،...الخ»[1].

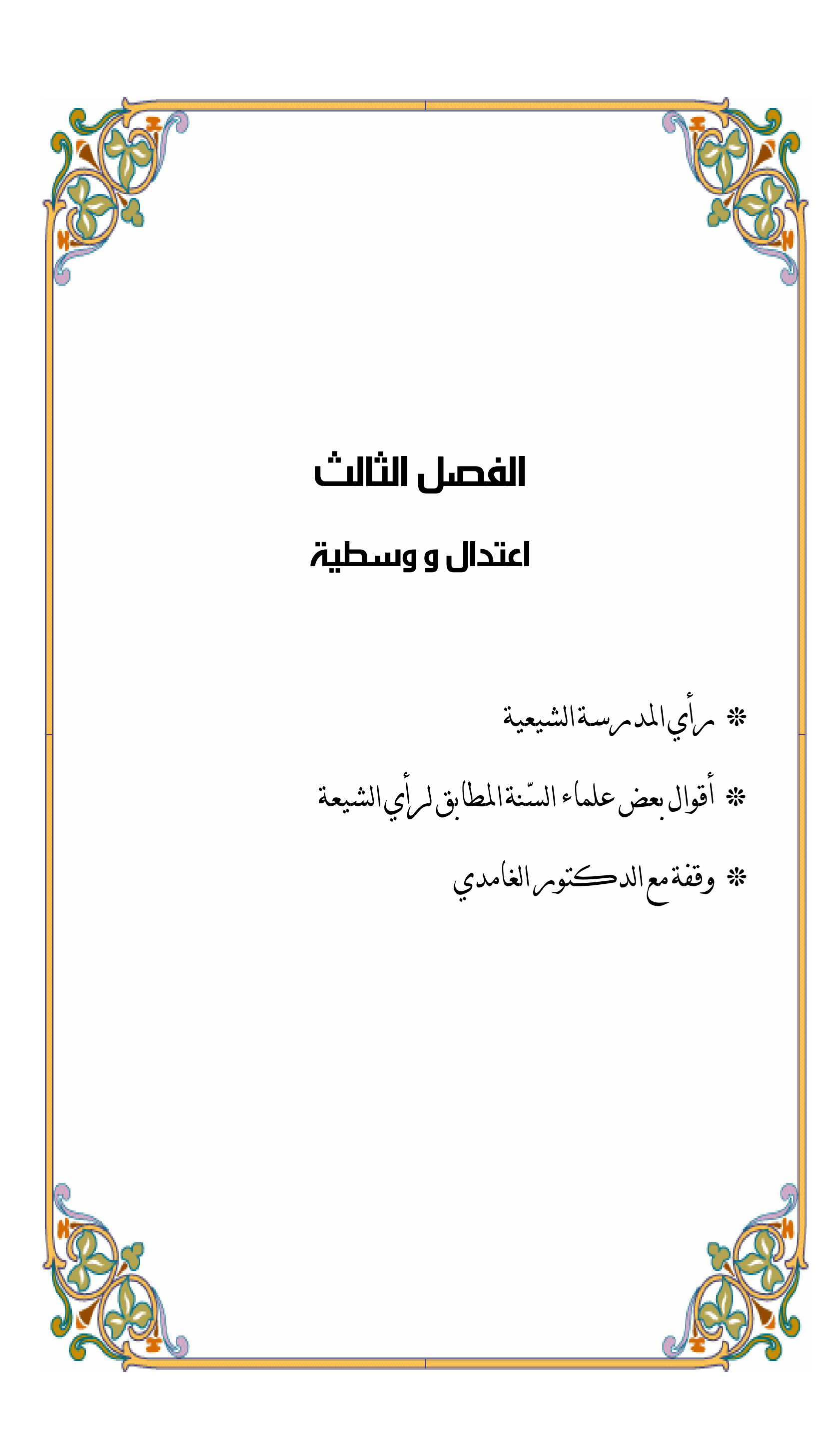
وهناك نماذج كثيرة أعرضنا عنها، ولعل القارئ الكريم يتتبع ما ورد من هذه الأمثلة، فبطون الكتب مملوءة بما ذكره أصحاب التراجم فراجع وتأمل.

لهذه الأسباب جاءت أقوال علماء الشيعة الإمامية ليضعوا الحق في محله وفي نصابه الصحيح.

إذن لننتقل إلى بيان آراء مدرستهم في هذا الشأن.

---

(١) الاستيعاب: ج٤ص١٧٤٦.



الفصل الثالث

اعتدال و وسطية

❊ رأي المدرسة الشيعية

❊ أقوال بعض علماء السّنة المطابق لرأي الشيعة

❊ وقفة مع الدكتور الغامدي

رأي المدرسة الشيعية

إن رأي المدرسة الشيعية واضح وصريح ولا لبس فيه بالنسبة لهذه المسألة الحساسة، وهو أن للصحابة دوراً كبيراً في نصرة الدين ونشر معالمه، لأنهم أبلوا البلاء الحسن في إظهار كلمة الحق ورفع راية الإسلام خفاقة في مشارق الأرض ومغاربها، وبذلوا الغالي والنفيس في تثبيت أركان هذا الدين، وهذا غير خفي على من يطّلع على كلمات الإمام أمير المؤمنين والإمام السجاد عليهما السلام.

الإمام علي عليه السلام يمدح الصحابة

قال عليه السلام: **«لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله فما أرى أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاء الثواب»**[1].

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٩٧.

الإمام السجاد يثني على الصحابة

قال عليه السلام: «اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له، حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في ظل قرابته. فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك وإليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه»[1].

كلام الإمام عليه السلام جلي وصريح في أنّ هناك من الأصحاب الخواص من كان له الفضل والسبق ممن نصر الدين ونصر رسوله وأحسن الصحبة ولم يرتد وبقي في هذه الدائرة، أي دائرة الإيمان، وبهذا يخرّج الإمام ممن ارتدوا وممن مردوا النفاق وغيرهم.

---

(١) الإمام السجاد عليه السلام: الصحيفة السجادية، ص٤٤، دعاؤه في الصلاة على أتباع الرسل ومصدقيهم. الناشر: مؤسسة الإمام المهدي (ع)، مؤسسة أنصاريان – قم.

رأي السيد علي خان المدني (ت/ ١١٢٠هـ)

وللسيد المدني رأي أصيل في الصحابة يساير الفكر والمنطق، قال: «**حكم الصحابة عندنا في العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتم الحكم بالإيمان والعدالة بمجرد الصحبة، ولا يحصل بها النجاة من عقاب النار، وغضب الجبار لا أن يكون مع بيّن الإيمان، وخلوص الجنان، فمن علمنا عدالته وإيمانه وحفظه وصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في أهل بيته وإنه مات على ذلك أليناه، وتقربنا إلى الله تعالى بحبه، ومن علمنا أنه انقلب على عقبه، وأظهر العداوة لأهل البيت عاديناه لله تعالى وتبرأنا إلى الله منه، ونسكت عن المجهول حاله**»[1].

وهذا الرأي سديد ودقيق للغاية فأن الحب لخيار الصحابة إنما هو حب لله تعالى وتقرب إليه، والبغض للمنحرفين والمنافقين إنما هو بغض للباطل وتقرب إلى الله تعالى الذي أمر بمعاداة الباطل ومجافاة المنكر.

السيد محسن الأمين العاملي (ت /١٣٧١ هـ)

قال:«**حكم الصحابة في العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتّم الحكم**

---

(١) السيد علي خان المدني، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ص ١١، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي – قم، ط ١٣٩٧هـ

بها بمجرّد الصحبة، وهي لقاء النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه مؤمناً بـه، ومـات علـى الإسلام، وإنّ ذلك ليس كافياً في ثبوت العدالة بعد الاتّفاق علـى عدم العصمة المانعة من صدور الذنب، فمن علمنا عدالته حكمنا بها، وقبلنا روايته، ولزمنا له من التعظيم والتـوقير، بسـبب شـرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد في سبيل اللّه ما هو أهله، ومـن علمنا منه خلاف ذلك لم تقبل روايته، أمثال مروان بـن الحكـم، والمغيرة بن شعبة، والوليد بن عقبة، وبسر بن أرطاة وبعض بنـي أميّة وأعوانهم، ومن جهلنا حاله فـي العدالـة توقّفنـا فـي قبـول روايته.

وممّا يمكن أن يذكر في المقام أنّ النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه توفّي ومـن رآه وسمع عنه يتجاوز مائة ألف إنسان من رجل وامرأة على ما حكاه ابن حجر في الإصابة عن أبي زرعة الرازي وقيل ماتصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه عـن مائة وأربعة عشر ألف صحابيّ[1]. ومن الممتنع عادة أن يكون هذا العدد في كثرته وتفرّق أهوائه وكون النفوس البشريّة مطبوعة على حبّ الشهوات كلّهم، قد حصلت لهم ملكة التقوى المانعـة عـن صدور الكبائر، والإصرار على الصغائر بمجرّد رؤيـة النبـي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه

---

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة: ج١ص١٥٤، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، طبعة دار الكتب العلميّة- بيروت.

والإيمان به، ونحن نعلم أنّ منهم من أسلم طوعاً ورغبة في الإسلام، ومنهم من أسلم خوفاً وكرهاً، ومنهم المؤلّفة قلوبهم، وما كانت هذه الأمة إلاّ كغيرها من الأمم التي جُبلت على حبّ الشهوات وخلقت فيها الطبائع القائدة إلى ذلك إن لم يردع رادع والكلّ من بني آدم، وقد صحّ عنهﷺ أنّه قال: لتسلكنّ سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة حتّى لو دخل أحدهم جحر ضبّ لدخلتموه.

ولو منعت رؤية النبيﷺ من وقوع الذنب لمنعت من الارتداد الذي حصل من جماعة منهم: كعبد اللّه بن جحش، وعبيد اللّه بن خطل، وربيعة بن أمية بن خلف، والأشعث بن قيس[1].وغيرهم مع ما شوهد من صدور أمور من بعضهم، لا تتّفق مع العدالة، كالخروج على أئمّة العدل، وشقّ عصا المسلمين، وقتل النفوس المحترمة، وسلب الأموال المعصومة، والسبّ والشتم وحرب المسلمين وغشّهم، وإلقاح الفتن، والرغبة في الدنيا، والتزاحم على الإمارة والرئاسة وغير ذلك ممّا تكفلّت به

(١) الثلاثة الأوّلون ارتدّوا وماتوا على الردّة، والأشعث ارتدّ فأتي به إلى الخليفة أبي بكر أسيراً فعاد إلى الإسلام وزوجّه أخته، وكانت عوراء، فأولدها محمداً وهو أحد قتلة الإمام الحسينعليه السلام.

كتب الآثار والتواريخ وملأ الخافقين»[١].

محمد حسين آل كاشف الغطاء (ت/ ١٣٧٣)

قال: «لا أقول إنّ الآخرين من الصحابة ـ وهم الأكثر الذين لم يتسمّوا بسمة الولاء لأهل البيت ـ قد خالفوا النبي ولم يأخذوا بإرشاده، كلا ومعاذ اللّه أن يظنّ فيهم ذلك، وهم خيرة من على وجه الأرض يومئذ، ولكن لعلّ تلك الكلمات لم يسمعها كلّهم، ومن سمع بعضها لم يلتفت إلى المقصود منها، وصحابة النبي الكرام أسمى من أن تحلّق إلى أوج مقامهم بغاث الأوهام»[٢].

إلى أن قال: «لا يذهبنّ عنك أنّه ليس معنى هذا إنّا نريد أن ننكر ما لأولئك الخلفاء من الحسنات وبعض الخدمات للإسلام التي لا يجحدها إلاّ مكابر، ولسنا بحمد اللّه من المكابرين، ولا سبّابين ولا شتّامين؛ بل ممّن يشكر الحسنة ويغضي عن السيّئه، ونقول: تلك أمة قد خلت، لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت، وحسابهم على اللّه، فإن عفا فبفضله، وإن عاقب فبعدله»[٣].

---

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج١ ص١١٣.

(٢) محمد حسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها: ص ١٨٨، بتحقيق علاء آل جعفر.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٠٩.

الإمام شرف الدين (ت/١٣٧٧هـ)

قال:«إنّ من وقف على رأينا في الصحابة علم أنه أوسط الآراء، إذ لم نفرط فيه تفريط الغلاة الذين كفّروهم جميعاً، ولا أفرطنا إفراط الجمهور الذين وثّقوهم أجمعين، فإن الكاملية ومن كان في الغلو على شاكلتهم، قالوا: بكفر الصحابة كافة، وقال أهل السنة: بعدالة كل فرد ممن سمع النبيصلى الله عليه وآله أو رآه من المسلمين مطلقاً، واحتجوا بحديث (كل من دب أو درج منهم أجمعين أكتعين)، أما نحن فإن الصحبة بمجردها وإن كانت عندنا فضيلة جليلة، لكنها - بما هي ومن حيث هي - غير عاصمة، فالصحابة كغيرهم من الرجال فيهم العدول، وهم عظماؤهم وعلماؤهم، وأولياء هؤلاء وفيهم البغاة، وفيهم أهل الجرائم من المنافقين، وفيهم مجهول الحال، فنحن نحتج بعدولهم ونتولاهم في الدنيا والآخرة، أما البغاة على الوصي، وأخي النبي، وسائر أهل الجرائم والعظائم كابن هند، وابن النابغة، وابن الزرقاء وابن عقبة، وابن أرطاة، وأمثالهم فلا كرامة لهم، ولا وزن لحديثهم، ومجهول الحال نتوقف فيه حتى نتبين أمره، هذا رأينا في حملة الحديث من الصحابة وغيرهم، والكتاب والسنة بيننا على هذا الرأي، لكن الجمهور بالغوا في تقديس كل من يسمونه صحابياً حتى خرجوا

عن الاعتدال فاحتجوا بالغثّ منهم والسمين واقتدوا بكل مسلم سمع النبي أو رآهﷺاقتداء أعمى، وأنكروا على من يخالفهم في هذا الغلو، وخرجوا في الإنكار على كل حد من الحدود، وما أشد إنكارهم علينا حين يروننا نرد حديث كثير من الصحابة مصرحين، بجرحهم أو بكونهم مجهولي الحال، عملاً بالواجب الشرعي في تمحيص الحقائق الدينية، والبحث عن الصحيح من الآثار النبوية، وبهذا ظنوا بنا الظنونا، فاتهمونا بما اتهمونا، رجماً بالغيب، وتهافتاً على الجهل، ولو ثابت إليهم أحلامهم، ورجعوا إلى قواعد العلم، لعلموا أن أصالة العدالة في الصحابة مما لا دليل عليه، ولو تدبروا القرآن الحكيم لوجدوه مشحوناً بذكر المنافقين منهم، وحسبك من سورة التوبة والأحزاب، وإذا جاءك المنافقون، ويكفيك من آياته المحكمة: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾»[١].

---

(١) السيد شرف الدين: أجوبة مسائل جار الله، ص١٥– ١٦. الناشر: مطبعة العرفان – صيدا.

إذن هذه أقوال أئمتنا عليهم السلام وعلماؤنا رضوان الله عليهم جلية واضحة في مدحهم للصحابة والثناء عليهم، ولكنهم لم يضفوا عليهم لباس العصمة والقداسة، نعم الصحبة هي فضيلة جليلة؛ ولكن هم كغيرهم من الرجال فيهم العدول، وفيهم غير العدول. فلا نستطيع القول بعدالتهم جميعاً.

وهذا الرأي قد شاطرنا فيه جملة من علماء أهل السنة، فهالة القداسة قد التفتوا إليها وناقشوا فيها، كما يتضح ذلك من أقوالهم.

أقوال بعض علماء السنة المطابق لرأي الشيعة

ننقل بعض أقوال علمائهم التي تنسجم مع الرؤية الإمامية القائلة بالتفصيل في مسألة عدالة جميع الصحابة.

١- ابن حزم (ت/ ٤٥٦ هـ)[١].

قال: « **وقد كان الصحابة يقولون بآرائهم في عصره ﷺ فيبلغه ذلك فيصوب المصيب ويخطئ المخطئ، فذلك بعد موته أفشى وأكثر**» ثمّ ذكر موارد متعدّدة ممّا أفتى به الصحابة فأنكره رسول

---

(١) وثّقه الذهبي قائلا: ابن حزم، الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف... ورزق ذكاء مفرطاً، وذهناً سيّالاً، وكتباً نفيسة كثيرة... فإنّه رأس في علوم الإسلام، متبحّر في النقل، عديم النظير. سير أعلام النبلاء: ج١٨ ص١٨٤.وكذلك شهد له بالصدق والأمانة والديانة والحشمة والسؤدد كما في العبر: ج٣ ص٢٣٩.
قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام: « وكان أحد المجتهدين، ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلّى لابن حزم» وقال الذهبي بعد نقله هذا: « لقد صدق الشيخ عز الدين». سير أعلام النبلاء: ج١٨ ص١٩٣. وقريب من هذا عن السيوطي في طبقات الحفّاظ: ٤٣٦.
قال الزركلي: «ابن حزم: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمّة الإسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم «الحزمّية». الأعلام: ج٤ ص٢٥٤.

اللّه [(١)].

وقال أيضاً:«وأمّا قولهم: إنّ الصحابة رضي اللّه عنهم شهدوا الوحي فهم أعلم به، فإنّه يلزمهم على هذا إنّ التابعين شهدوا الصحابة، فهم أعلم بهم، فيجب تقليد التابعين. وهكذا قرناً فقرناً، حتّى يبلغ الأمر إلينا فيجب تقليدنا، وهذه صفة دين النصارى في اتّباعهم أساقفتهم، وليست صفة ديننا والحمد للّه ربّ العالمين» [(٢)].

٢- **المازري** (ت/ ٥٣٠ هـ) [(٣)].

قال في «شرح البرهان»: «لسنا نعني بقولنا: الصحابة عدول، كلّ من رآه صلى اللّه تعالى عليه وعلى آله وسلم يوماً ما، أو

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، بتحقيق أحمد شاكر: ج٦ ص٨١٠ وراجع أيضاً: ج٥ ص٦٤٢، وج٦ ص٨٠٦، و٨١٣، و٨١٦.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام: ج٦ ص٨١٦، بتحقيق أحمد شاكر، وطبعة دار الجيل، بتحقيق لجنة من العلماء: ج٦ ص٢٥٠، من المجلد الثاني.

(٣) قال الذهبي: وكان أحد الأذكياء الموصوفين، والأئمة المتبحّرين... وكان بصيراً بعلم الحديث. سير أعلام النبلاء: ج٢٠ ص١٠٥.

قال الزركلي: محدّث، من فقهاء المالكيّة... له (المعلم بفوائد مسلم) في الحديث، وهو ما علّق به على صحيح مسلم، حين قراءته عليه سنة ٤٩٩، وقيّده تلاميذه. الأعلام: ج٦ ص٢٧٧. قال عمر رضا كحالة: يعرف بالإمام محدّث، حافظ، فقيه، أصولي، متكلّم، أديب. معجم المؤلفين: ج١١ ص٣٢.

زاره لمّاً ما، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كتب، وإنّما نعني به الذين لازموه، وعزّروه ونصروه، واتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون»[(١)].

٣- ابن عقيل (ت / ١٣٥٠ هـ)[(٢)].

قال: «وأمّا تعديلهم كلّ من سمّوه بذلك الاصطلاح، صحابيّاً وإن فعل ما فعل من الكبائر، ووجوب تأويلها له فغير مسلّم؛ إذ الصحبة مع الإسلام لا تقتضي العصمة اتّفاقاً حتّى يثبت التعديل، ويجب التأويل على أنّهم اختلفوا في ذلك التعديل اختلافاً كثيراً والجمهور هم القائلون بالعدالة»[(٣)].

---

(١) الإصابة: ج١ ص١٦٣، والنصائح الكافية: ١٦٧.

(٢) قال الزركلي: «محمد بن عقيل بن عبد اللّه بن عمر، من آل يحيى، العلوي الحسيني الحضرمي، رحّالة، من بيت علم بحضرموت» الأعلام: ج٦ ص٢٦٩. قال عمر رضا كحّالة: «محمد بن عقيل بن عبد اللّه بن عمر العلوي الصادقي الحسيني الحضرمي، فاضل، مشارك في بعض العلوم. ولد ببلدة مسيلة آل شيخ قرب تريم من بلاد حضرموت ليومين بقيا من شعبان، ورحل إلى سنغافورة واشتغل بالتجارة، وترأس فيها المجلس الإسلامي الاستشاري، وأسّس فيها جمعيّة إسلاميّة ومجلّة وجريدة عربيّتين ومدرسة عربيّة دينيّة... من مؤلّفاته: النصائح الكافية لمن تولّى معاوية، تقوية الإيمان، فصل الحاكم في النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم، العتب الجميل على علماء الجرح والتعديل، وثمرات المطالعة» معجم المؤلفين: ج١٠ ص٢٩٦.

(٣) النصائح الكافية لمحمد بن عقيل: ١٦٦.

وقال أيضاً: «إنّنا أهل السنّة قد أنكرنا على الشيعة دعواهم العصمة للأئمّة الإثني عشر وجاهرناهم بصيحات النكير، وسفّهنا بذلك أحلامهم، ورددنا أدلّتهم بما رددنا، أفبعد ذلك يجمل بنا أن ندّعي أنّ مائة وعشرين ألفاً حاضرهم، وباديهم، وعالمهم وجاهلهم، وذكرهم وأنثاهم، كلّهم معصومون. أو كما نقول: محفوظون من الكذب والفسق، ونجزم بعدالتهم أجمعين، فنأخذ رواية كلّ فرد منهم قضيّة مسلّمة، نضلّل من نازع في صحّتها ونفسّقه ونتصامم عن كلّ ما ثبت وصح عندنا.

بل وما تواتر من ارتكاب بعضهم ما يخرم العدالة وينافيها من البغي، والكذب، والقتل بغير حق، وشرب الخمر، وغير ذلك مع الإصرار عليه، لا أدري كيف تحلّ هذه المعضلة ولا أعرف تفسير هذه المشكلة»[1].

٤- محمد ناصر الدين الألباني (معاصر)

قال: «كيف يسوغ لنا أن نتصوّر أنّ النبيّ ﷺ يجيز لنا أن نقتدي بكلّ رجل من الصحابة، مع أنّ فيهم العالم والمتوسّط في العلم ومن هو دون ذلك وكان فيهم مثلاً من يرى أنّ البَرد لا يفطر

(١) النصائح الكافية: ١٧٤.

الصائم بأكله»[١].

وقريب من ذلك عن الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ[٢] والشيخ

محمود أبو ريّة المتوفى سنة ١٣٧٠ هـ[٣] والشيخ محمد عبده[٤] المتوفى سنة ١٣٢٣ هـ والسيّد محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤[٥] والرافعي المتوفى سنة ١٣٥٦ هـ[٦].

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ج١ ص٨٢.

(٢) إرشاد الفحول: ١٥٨. قال الزركلي: محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فقيه، مجتهد، من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان، من بلاد خولان باليمن، ونشأ بصنعاء وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها.الأعلام: ج٦ ص٢٩٨.

(٣) أضواء على السنّة المحمديّة: ٣٥٦ ـ٣٥٩ ط دار المعارف بمصر.

(٤) قال الزركلي: الشيخ محمد عبده بن حسن خير اللّه مفتي الديار المصريّة، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام... له تفسير القرآن الكريم... وشرح نهج البلاغة. الأعلام: ج٦ ص٢٥٢.

قال عمر رضا كحّالة: فقيه، مفسّر، متكلم، حكيم، أديب، كاتب، صحافي، سياسي. معجم المؤلفين: ج١٠ ص٢٧٣.

(٥) تفسير المنار: ج١٠ص٣٧٥.

قال الزركلي: صاحب مجلّة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير... رحل إلى مصر سنة ١٣١٥، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له... وأصبح مرجع الفتيا في التأليف، بين الشرعة والأوضاع العصريّة الجديدة.... الأعلام: ج٦ ص١٢٦.

(٦) إعجاز القرآن: ١٤١.

هو مصطفى صادق الرافعي، قال الزركلي: عالم بالأدب، شاعر، من كبار

٥- حسن بن فرحان المالكي (معاصر)

قال:«فنحن يجب أن نتفق على مدح من مدحه الله ورسوله وذم من ذمه الله ورسوله...» [(١)]. وقال أيضاً:

«فإذا كانت العدالة تزول لارتكاب المظالم والمحرمات فيجب أن يكون ذلك في الصحابة وغيرهم، ولم أجد إلى الآن نصاً صحيحاً صريحاً في استثناء الصحابة أصحاب الصحبة الشرعية فضلاً عن غيرهم من أصحاب الصحبة العامة، فقد حصل لبعض لمهاجرين أو الأنصار شيء من شرب الخمر أو الزنا أو السرقة كما حصل لماعز والنعيمان بن عمرو وقصصهم مدونة في كتب الفقهاء» [(٢)].

إذن هناك مجموعة من علماء أهل السنّة تطابق وجهة نظر الرؤية الشيعة في مسألة – عدالة جميع الصحابة– فالرأي المشهور لا نستطيع أن نتعبد به بعد نقل جملة من هؤلاء العلماء الذين نقضوا ذلك المشهور.

الكتّاب، أصله من طرابلس الشام. الأعلام: ج٧ ص٢٣٥. وقال عمر رضا كحالة: بأنّه انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق. معجم المؤلّفين: ج١٢ ص٢٥٦.

(١) حسن بن فرحان المالكي، الصحبة والصحابة: ص ٢٥٨، و ص ٢٧٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٨.

وقفة مع الدكتور الغامدي

ولكننا نجد في نفس الوقت أن هناك من يطعن في بعض الطوائف الإسلامية ويتهمها بالانحراف، وكذلك هو ينظّر للوحدة الإسلامية، وذلك من خلال ما يفهمه من وحي خياله وتصوراته.

وهذا ما نجده جلياً في كلمات الدكتور الغامدي(الأستاذ المساعد في جامعة أم القرى) في مقالته(الوحدة الإسلامية أسسها ووسائل تحقيقها)، حيث قال في ص٥:

« انحرافات طائفية قديمة: لازالت قوية ونشطة رغم انحرافها وفساد معتقداتها، ومن تلك الطوائف: (طائفتا الشيعة...) فمن ذلك إسباغ صفات الألوهية على أئمتهم وادعاؤهم أنهم يعلمون الغيب وأنهم يتلقون الوحي من السماء وفي كلا الأمرين إساءة إلى الله عز وجل وتكذيب لدينه.

وأخيراً فإنهم يتهمون أصحاب رسول الله له بالخيانة والردة عن الإسلام، وهذا يؤدى إلى إبطال الإسلام.

فأما ادعاؤهم علم الغيب لأئمتهم فقد ورد في أهم مصادرهم بألفاظ صريحة في أبواب مستقلة.

فقد ورد في كتاب: (أصول الكافي)- وهو أهم كتاب عندهم- عناوين تؤكد ذلك.

منها: (باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم)»[١].

رد شبهة الدكتور الغامدي

في البداية ندفع شبهة (علم الغيب) ثم ندخل في دفع شبهة خيانة الصحابة؛ لأنهم دائماً يرددون هذه الفرية، ثم تقرن بخيانة الصحابة وإبطال الإسلام برمته.

فنقول: إن ما أورده الدكتور الغامدي باطل وذلك للوجوه التالية:

أولاً: إن القول بأن النبي صلى الله عليه وآله أو ألائمة عليهم السلام يعلمون الغيب فهذا ليس إسباغاً لصفة الإلوهية عليهم، أو شركاً أو غلواً، فرسول الله صلى الله عليه وآله قد أنبأه الله بكثير من الغيّبيات كما هو معلوم والقرآن يشهد بذلك، قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ**﴾[٢]. والإمام علي عليه السلام هو

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ العدد٢: ٦٥-٦٦. www.iu.edu.sa: magazine.

(٢) الجن: ٢٦- ٢٧.

وارث علم رسول الله ﷺ فقد وردت الأحاديث وبطرق كثيرة أن علياً هو وصيه ووارثه كما صرح ابن أبي شيبة والطبراني والحاكم النيسابوري واللفظ للأخير رواه بسند صحيح:

«قال: سألت قثم بن العباس كيف ورث علي رسول الله صلى الله عليه وآله دونكم قال: لأنه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقا. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»(١).

ثم علق الحاكم على ذلك:

«... ولا خلاف بين أهل العلم أن ابن العم لا يرث مع العم فقد ظهر بهذا الإجماع أن علياً ورث العلم من النبي صلى الله عليه وآله دونهم»(٢).

إذن فهناك إجماع من الأمة على وراثة العلم من النبي ﷺ لعلي عليه السلام، ولا غرابة في ذلك فهو باب مدينة علم رسول الله ﷺ الذي يفتح له من كل باب ألف باب(٣).

وهو القائل كما ينقل ابن أبي الحديد:

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٢٥. والمصنف: ج٨ ص٣٤٨، المعجم الكبير: ج١٩ ص٤٠.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٥ ص١٢٦.

(٣) صحح هذا الحديث ونقل طرقه الكثيرة ومن خرجه، السيد احمد بن الصديق المغربي في كتابه فتح الملك العلي فراجعة فستجد غايتك التي تنشدها.

«**أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض**»[(١)].

وطبعاً علمه لدني غيبي ورثه من رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ورّثه لأبنائه وعترته الذين لا يفارقون الكتاب بنص حديث الثقلين الذي سيأتي الكلام عن صحته وتواتره، والكتاب هو تبيان لكل شيء بمقتضى قوله تعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ**﴾[(٢)] وقوله تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[(٣)] وقوله تعالى: ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ**﴾[(٤)].

إذن لابد أن يكون الإمام عليه السلام محيطاً بجميع العلوم التي في الكتاب العزيز.

ومعلوم أن الذي عنده هذا العلم القرآني المعجز لا يغيب عنه شيء بإذن الله تعالى وإرادته.

ثانياً: إن هذا العلم الغيبي هو من صفات الله تعالى ومختصاته ولم يشاركه فيه أحد.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٢ ص١٣٠.
(٢) النحل: ٨٩.
(٣) الأنعام: ٣٨.
(٤) الأنعام: ٩٥.

قال تعـالى: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3].

وما عند الرسول أو ألائمة من هذا العلم هو منه تعالى وبإذنه فليس هو ذاتي للرسول أو ألائمة؛ لأن وجودهم متقوم به تعالى فهو الذي خلقهم وأوجدهم، قال الشيخ الأميني رحمه الله:

«ولا يتصور عندئذ قط اشتراك مع المولى سبحانه في صفته العلم بالغيب، ولا العلم بالشهادة ولو بلغ علم العالم أي مرتبة رابية، وشتان بينهما، إذ القيود الإمكانية البشرية مأخوذة في العلم البشري دائماً لا محالة، سواء تعلق بالغيب أو تعلق بالشهادة، وهي تلازمه ولا تفارقه، كما أن العلم الإلهي بالغيب أو الشهادة تؤخذ فيه قيود الأحدية الخاصة بذات الواجب الأحد الأقدس سبحانه

---

(١) النمل: ٦٥.

(٢) الحجرات: ١٨.

(٣) الجمعة: ٨.

وتعالى، وكذلك الحال في علم الملائكة، لو أذن الله تعالى إسرافيل مثلاً وقد نصب بين عينيه اللوح المحفوظ الذي فيه تبيان كل شيء، أن يقرأ ما فيه ويطّلع عليه، لم يشارك الله قط في صفته العلم بالغيب، ولا يلزم منه الشرك»[1].

إذن فالعلم بالغيب هو من صفات الله أولاً وبالذات، ومن تمكّن من ذلك العلم فهو بالواسطة والعرض والإذن الإلهي.

لذا جاء قول الإمام الكاظم عليه السلام مستنكراً من نسب إليه العلم ذاتاً، بحيث لم تبق له شعرة في جسده إلا وقفت كما تقول الرواية.

روى الشيخ المفيد بسنده: **«عن ابن أبي عمير، عن ابن المغيرة قال: كنت أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسن عند أبي الحسن عليه السلام فقال له يحيى، جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب، فقال: سبحان الله، ضع يدك على رأسي فو الله ما بقيت شعرة فيه و في جسدي إلا قامت، ثم قال: لا والله ما هي إلا وراثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله»**[2].

فالرواية كما عن الإمام الكاظم ينفي علمه بالذات، ويستهجن

---

(١) الغدير: ج٥ ص٥٧.

(٢) الشيخ المفيد، الأمالي: ص٢٣.

من قال بذلك، ويؤكد أن هذا العلم هو وراثة من رسول الله وما عند رسول الله ﷺ هو من الله جل وعلا، فهم بشر مخلوقين لله ولا يمكن أن يكون علمهم ألا بإذنه وقدرته وإرادته.

إذن فعلم الغيب ممكن للرسول، والأئمة بالوراثة منه ﷺ وهذا العلم لدني حضوري من الله تعالى وبإذنة فليس هو باستقلالهم وإرادتهم، وهذا لا يلزم منه الشرك أو الغلو.

الخليفة عمر وعلم الغيب

ثالثاً: ثم إن علم الغيب الذي يشنّع به على الشيعة، قد روت مصادر القوم مثله في الخليفة عمر بن الخطاب، وهذا ما رواه ابن حجر العسقلاني في الإصابة، قال:

«وروى بن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن بن عمر عن أبيه، أنه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم إلى بعض فقال لهم علي ليخرجن مما قال، فلما فرغ سألوه فقال وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جاوزوا هلكوا فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه، قال فجاء البشير بعد شهر فذكر إنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم، قال فعدلنا إلى الجبل ففتح الله

علينا»[1].

قال العجلوني في كشف الخفاء عند ذكره لهذا الحديث:

«قال في اللآلئ: وقد أفرد الحافظ القطب الحلبي لطرقه جزءا، ووثق رجال هذا الطريق. وقال: ذكره ابن عساكر وابن مأكولا وغيرهم وسارية له صحبة »[2]. **وغير ذلك من الأحاديث أعرضنا عنها.**

ابن تيمية وعلم الغيب

وكذلك نجد أن هذه الصفة ـ أي الغيب وإن أخذت أشكالاً وألفاظاً أخرى كالفراسة وغيرهاـ تضفى على بعض علمائهم كابن تيمية الحراني، فضلاً عن بعض الصحابة، كما تقدم.

قال ابن القيم الجوزيّة، تلميذ ابن تيميّة:**«ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية أموراً عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفراً ضخماً، أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأنّ جيوش المسلمين تكسر، وأنّ دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبيّ عام، وأنّ كلب الجيش وحدته في الأموال: وهذا قبل أن يهمّ التتار**

(1) الإصابة:ج3ص5-6.

(2) العجلوني، كشف الخفاء،ج2ص381. الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

بالحركة، ثمّ أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبع مائة لمّا تحرك التتار وقصدوا الشام: أنّ الدائرة والهزيمة عليهم وأنّ الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء اللّه، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً.»[١].

وقال أيضاً:«وقال [ابن تيمية] مرّة: يدخل عليّ أصحابي وغيرهم فأرى في وجوههم وأعينهم أموراً لا أذكرها لهم، فقلت له: أو غيري لو أخبرتهم؟!

فقال: أتريدون أن أكون معرفاً كمعرف الولاة، وقلت له يوماً: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح! فقال: لا تبصرون معي على ذلك جمعته أو قال: شهراً!»[٢].

وقال تلميذه أيضاً:«وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي ممّا عزمت عليه، ولم ينطق به لساني، وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل، ولم يعين أوقاتها وقد رأيت بعضها، وأنا أنتظر بقيتها وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته واللّه أعلم»[٣].

(١) مدارج السالكين، ج ٢ ص ٤٨٩.
(٢) مدارج السالكين: ج ٢ ص ٤٩٠.
(٣) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٤٩٠.

إذن للنظر للأمور بمقاييس معتدلة ومنصفة بعيدة عن التشنج والتهجم بلا دليل، وليكن نظرنا بعينين لا أن نغمض أحدهما ونرمي الآخرين بتهم جزافية بلا نظر إلى أدلتهم التي يستندون إليها، في هكذا موارد.

وبهذا تسقط شبهة الدكتور الغامدي، فقد اتضح أن كلامه ينطلق من عصبية طائفية لا تمت إلى الإسلام بصلة.

أما ما ورد من كلامه أن الشيعة يتهمون أصحاب رسول الله بالخيانة والردة عن الإسلام.

فهذا الكلام أيضاً باطل وليس له ما يبرره سوى زرع الفتنة بين طوائف المسلمين، وقد حفل بحثنا برد هذه المزاعم، وقد فصّلنا القول في ذلك، وأن الشيعة لا تقول بعدالة جميع الصحابة؛ لأنهم بشر والبشر بطبعه يخطأ ويصيب، ولكن لا كما يدعي الغامدي، وقد تقدم الكلام مفصلاً فراجع.

إذن من جميع ما ذكرناه اتضح أن ما ذهبت إليه المدرسة الشيعية هو عين الصواب؛ وذلك لأنّ حكم الصحابة في العدالة حكم غيرهم، ولا يتحتّم الحكم بها بمجرّد الصحبة، وهي لقاء النبيﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، وإنّ ذلك ليس كافياً في ثبوت العدالة بعد الاتّفاق على عدم العصمة المانعة من صدور

الذنب، فمن عَلمنا عدالته حكمنا بها، وقبلنا روايته، ولزمنا لـه مـن التعظيم والتوقير، بسبب شرف الصحبة ونصـرة الإسـلام والجهـاد في سبيل اللّه ما هو أهله، ومن عَلمنـا منـه خـلاف ذلـك لـم تقبـل روايته البته.

وهذه هـي الوسـطية التـي تعلمناهـا مـن روح الشـريعة التـي لا يوجـد فيهـا إفـراط أو تفـريط؛ لان المنـاط والمـلاك هـو السـيرة العملية فكل من تطابقت سيرته مع المـنهج الإسـلامي فهـو عـادل ومن خـالف هـذا المـنهج فهـو غيـر عـادل، هـذا هـو رأي الشـيعة الإمامية وهو أوسط الآراء وأصحها.

ومرجعيتهم في ذلك هي أهـل بيـت العصـمة والطهـارة الـذي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

فهناك مرجعيتان ونظريتنان، مرجعية الصحابة ومرجعيـة أهـل البيت عليهم السلام، إذن فلابد من طرق هذا الباب ليكون القارئ على بينة، أن الشيعة أنما اقتفت أثر هذه المرجعية الربانيـة وذلـك لما ورثوه من أدلة صحيحة من كلا المدرستين، فلا يحق للطرف الآخر أن يتهم الشيعة بالانحراف والتبديع بل وأن إسلامهم باطل، كما تقدم في كلام الدكتور الغامدي.



الفصل الرابع

التشيع ومرجعية أهل البيت عليهم السلام

* النصوص الواردة في مرجعية أهل البيت عليهم السلام
* حديث الثقلين
* حديث الغدير
* حديث السفينة
* حديث عدم التقدم عليهم والتقصير عنهم
* حديث الإقتداء والموالاة
* حديث الأمان لأهل الأرض
* حديث نفي التحريف عن الدين
* آية التطهير المصداق والمرجعية لأهل البيت عليهم السلام

التشيع ومرجعية أهل البيت عليهم السلام

بعدما تقدم من وسطية واعتدال مذهب التشيع في هذه المسألة المهمة(أي عدالة الصحابة) نرى من اللازم أن نتحدث حول مرجعية هذا المذهب، فهذه الوسطية من هم دعاتها ومن هو المرجع لها ومن أين ورثوها، إذن لنبحر ونغوص في عرض الأدلة التي نصت على تلكم المرجعية الربانية ، فنقول:

إن التشيع هو روح الإسلام وهذه الميزة الجوهرية الربانية ركيزتها الأساسية ومنبعها وأركانها هم أئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم من زكّاهم الله جل وعلا وطهرهم بقوله ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1]. وشيعتهم هم من سلكوا طريقهم وتمسكوا بهم وبمنهجهم المستقيم.

فأئمتنا الذين ندين لهم هم سفن نجاة الأمة، وباب حطتها، وأمانها من الاختلاف في الدين، وأعلام هدايتها، وثقل رسول الله صلى الله عليه وآله، وبقيته في أمته.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

النصوص الواردة في مرجعية أهل البيت عليهم السلام

ومن النصوص الواضحة والصحيحة التي دلت على مرجعية أهل البيت نذكر منها ما يلي:

١- حديث الثقلين

أما حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين، فقد رواه مسلم بن الحجاج النيسابوري في صحيحه عن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي..»**[1].

وفي مسند احمد: **«إني تارك فيكم خليفتين، كتاب اللّه حبل ممدود ما بين السماء والأرض او ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»**[2].

وكذلك الترمذي في صحيحه والحاكم في المستدرك

---

(١) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم: ج٧ص١٢٢-١٢٣، باب من فضائل علي رضي الله عنه.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند أحمد:ج٥ ص١٨٢، الناشر : دار صادر - بيروت .

على الصحيحين وصححه: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما أعظم من الآخر، كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**»[1].

طرق الحديث ورواته

لا نغالي إذا قلنا إن أكثر حديث روى له الصحابة والتابعين هو حديث الثقلين وله من الطرق ما وردت عن نيف وعشرين صحابيا، وهذا ما صرح به ابن حجر الهيتمي المكي، قال:«**ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف و عشرين صحابياً، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بعرفة ، و في آخر أنه قال بغدير خم ، وفي آخر أنه قال بالمدينة في مرضه ، و قد امتلأت الحجرة بأصحابه ، و في آخر أنه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف، و لا تنافي إذ لا مانع أنه كرر عليهم في تلك المواطن و غيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز و**

---

(١) محمد بن عيسى الترمذي، صحيح الترمذي: ج٥ ص ٣٢٩، الناشر : دار الفكر - بيروت . أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص ١٤٨، الناشر: دار المعرفة - بيروت .

العترة الطاهرة»[(١)].

وقال أيضاً :

« **ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع و عشرين صحابياً لا حاجة لنا ببسطها** » ونذكر بعض الصحابة الذين رووا لنا هذا الحديث الشريف :

١- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

٢- فاطمة الزهراء عليها السلام

٣- الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام

٤- سلمان الفارسي

٥- أبو ذر الغفاري

٦- ابن عباس

٧- جابر بن عبد الله الأنصاري

٨- أبو الهيثم بن التيهان

٩- أبو رافع

١٠- حذيفة بن اليمان

١١- حذيفة بن أسيد الغفاري

---

(١) أحمد بن محمد بن علي ، ابن حجر الهيتمي ، الصواعق المحرقة:ج٢ ص ٤٤٠، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٢- أبو سعيد الخدري

١٣- خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين

١٤- زيد بن ثابت

١٥- زيد بن أرقم

١٦- أبو هريرة

١٧- عبد اللّه بن حنطب

١٨- جبير بن مطعم

١٩- البراء بن عازب

٢٠- أنس بن مالك

٢١- طلحة بن عبد اللّه التيمي

٢٢- عبد الرحمن بن عوف

٢٣- سعد بن أبي وقاص

٢٤- عمرو بن العاص

٢٥- سهل بن سعد الأنصاري

٢٦- عدي بن حاتم

٢٧- أبو أيوب الأنصاري

٢٨- أبو شريح الخزاعي

٢٩- عقبة بن عامر

٣٠- أبو قدامة الأنصاري

٣١- أبو ليلى الأنصاري

٣٢- ضميرة الاسلمي

٣٣- عامر بن ليلى بن ضمرة

٣٤- أم سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وآله

٣٥- أم هاني أخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

كبار رواة الحديث رووا حديث الثقلين

قلما نجد مصدراً معتبراً من المصادر الحديثية إلا ونجد فيه حديث الثقلين ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، منهم :

أصحاب الصحاح المعروفة، مسلم بن الحجاج ، و ابن ماجة القزويني ، وأبي داود السجستاني، والترمذي ، و النسائي .

وكذلك أحمد بن حنبل ، صاحب المسند، ومحمد بن سعد ، صاحب الطبقات الكبرى، وأبي بكر ابن أبي شيبة ، صاحب المصنف، و ابن راهويه ، صاحب المسند وعبد بن حميد ، صاحب المسند، وابن أبي عاصم ، صاحب كتاب السنة، وأبي بكر البزار ، صاحب المسند ،وأبي يعلى الموصلي ، صاحب المسند ،و أبي القاسم الطبراني ، صاحب المعاجم المشهورة، و

الحاكم النيسابوري ، صاحب المستدرك على الصحيحين. وأبي نعيم الأصفهاني ، والدار قطني، وأبي بكر البيهقي ، صاحب السنن الكبرى .و الخطيب البغدادي ، صاحب تاريخ بغداد .والبغوي ، صاحب مصابيح السنة و ابن عساكر صاحب الموسوعة المشهورة تاريخ مدينة دمشق، وغير هم الكثير .. وهذا إن دل فانه يدل على شهرة هذا الحديث وتواتره وصحته.

صحة الحديث وتواتره

يكفينا في صحته هو تواتره في جميع الطبقات فلا يخلو زمان أو طبقة إلا ونقلت هذا الحديث كما تقدم في ذكرنا لرواته[١]، وأما صحته فحسبك أن أحد رواته هو مسلم بن الحجاج في الصحيح وكذلك تصحيح الحاكم النيسابوري له في المستدرك :« **هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه** »[٢] وكذلك ما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد حيث صرح بأن إسناده جيد، قال: «**عن زيد بن ثابت**

---

(١) وقد ذكر المحقق محمد قوام الدين الوشنري، في بحثه حديث الثقلين الصادر عن دار التقريب في القاهرة، الرواة الذي نقلوا هذا الحديث حسب الطبقات من المائة الأولى إلى المائة الثالثة عشر.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج٣ص١٤٨.

قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم خليفتين كتاب الله عز وجل حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض . رواه أحمد وإسناده جيد»[١].

وكذلك صححه الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح للتبريزي، قائلا : رواه مسلم (صحيح) [٢].

دلالة الحديث

أما دلالة فواضحة على التمسك بالكتاب والعترة بلا فصل بينهما فهما المنجيان والعاصمان من الضلال، فهم قرناء الكتاب ولا يمكن التفكيك بينهما إلى أن يردا على الحوض، وقد ذكر الأستاذ توفيق أبو علم المصري، ما استفاده من دلالة هذا الحديث من الشيعة ، قال: «.. إن النبي ﷺ قرنهم بكتاب اللّه العزيز، الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فلا يفترق احدهما عن الآخر. ومن الطبيعي إن صدور أية مخالفة

(١) نور الدين الهيثمي، مجمع الزوائد: ج٩ص١٦٣، الناشر : دار الكتب العلمية- بيروت.

(٢) محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح:ج٣ ص ٣٣٨، تحقيق، ناصر الدين الألباني، الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت.

لأحكام الدين تعد افتراقا عن الكتاب العزيز، وقد صرح النبي ﷺ بعدم افتراقهما حتى يردا على الحوض. فدلالته على العصمة ظاهرة جلية. وقد كرر النبي ﷺ هذا الحديث في مواقف كثيرة، لأنه يهدف إلى صيانة الأمة والمحافظة على استقامتها وعدم انحرافها في المجالات العقائدية وغيرها، إن تمسكت بأهل البيت ولم تتقدم عليهم، ولم تتأخر عنهم. ولو كان الخطأ يقع منهم، لما صح الأمر بالتمسك بهم. الذي هو جعل أقوالهم وأفعالهم حجة.

وان المتمسك بهم لا يضل كما لا يضل المتمسك بالقرآن، ولو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان المتمسك بهم يضل. وفي اتباعهم الهدى والنور كما في القرآن، ولو لم يكونوا معصومين لكان في اتباعهم الضلال. وإنهم حبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن وهو كناية عن أنهم واسطة بين اللّه تعالى وبين خلقه،وان أقوالهم عن اللّه تعالى، ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك، وأنهم لن يفارقوا القرآن ولن يفارقهم مدة عمر الدنيا، ولو اخطأوا او أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم»[1].

(١) توفيق أبو العلم المصري، أهل البيت ، فاطمة الزهراء، ص٧٥.

تصريح علماء السنة بالتمسك بأهل البيت عليهم السلام

لذا نجد علماء الطائفة السنية قد صرحوا بالتمسك بالعترة الطاهرة كالمناوي والطيبي والتفتازاني والسمهودي والسقاف وغيرهم. لما فهموه من دلالة هذا الحديث.

١- المناوي في فيض القدير:

قال معلقاً على حديث الثقلين:« **إنّي تارك فيكم تلويح بل تصريح بأنّهما كتوأمين خلّفهما ووصّى أمّته بحسن معاملتهما وإيثار حقّهما على أنفسهم والاستمساك بهما في الدين**»

ثم نبه على قول الشريف قال:« **تنبيه: قال الشريف: هذا الخبر يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمن إلى قيام الساعة حتى يتوجه الحث المذكور إلى التمسك به كما أن الكتاب كذلك، فلذلك كانوا أماناً لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض**»[1].

٢- المباركفوري في تحفة الأحوذي:

قال شارحا لهذا الحديث:«**(أحدهما) وهو كتاب الله (أعظم من الآخر) وهو العترة (كتاب الله) بالنصب وبالرفع (حبل ممدود) أي هو حبل ممدود ومن السماء إلى الأرض يوصل العبد**

---

(١) المناوي، فيض القدير: ج٣ص٢٠، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

إلى ربه ويتوسل به إلى قربه (وعترتي) أي والثاني عترتي (أهـل بيتي) بيان لعترتي، قال الطيبي في قوله إني تارك فيكم إشارة إلـى أنهما بمنزلة التوأمين الخلفين عن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وأنه يوصي الأمة بحسن المخالقة معهما وإيثار حقهما على أنفسهم كما يوصي الأب المشفق الناس في حق أولاده ويعضـده مـا فـي حديث زيد بن أرقم عند مسلم أذكركم الله في أهل بيتي كما يقول الأب المشفق الله الله في حق أولادي (ولن يتفرقا) أي كتـاب الله وعترتي في مواقف القيامة (حتـى يـردا علـي) بتشـديد اليـاء (الحوض) أي الكوثر يعني فيشكرانكم صنيعكم عنـدي (فـانظروا كيف تخلفـوني) أي كيـف تكونـون بعـدي خلفـاء أي عـاملين متمسكين بهما»[١].

٣- التفتازاني في شرح المقاصد:

قال:« ألا ترى أنّه عليه الصلاة والسلام قرنهم بكتاب اللّه تعـالى في كون التمسك بهما منقـذاً عـن الضـلالة، ولا معنـى للتمسـك بالكتاب إلا الأخذ بما فيه من العلم والهداية فكذا في العترة»[٢].

٤- السمهودي في جواهر العقدين:

---

(١) المباركفوري، تحفة الأحوذي:ج١٠ ص ١٩٧،لناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

(٢) التفتازاني، شرح المقاصد: ج٢ص٣٠٣، الناشر: دار المعارف النعمانية.

قال في ذكر التنبيهات لحديث الثقلين:«**قد تضمَّنت الأحاديث المتقدمة الحث البليغ على التمسّك بأهل البيت النبوي... الى أن قال: فأيُّ حثٍّ أبلغ من هذا وآكد منه**»[1].

٥- حسن السقاف في صحيح شرح العقيدة الطحاوية:

قال:« **والمراد بالأخذ بآل البيت والتمسك بهم هو محبتهم والمحافظة على حرمتهم والتأدب معهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم والعمل برواياتهم والاعتماد على رأيهم ومقالتهم واجتهادهم وتقديمهم في ذلك على غيرهم**»[2].

حديث الثقلين بلفظ (كتاب الله وسنتي)

قد ذكر لهذا الحديث ثلاثة طرق، وهي كالتالي:

الأول: ما رواه الدار قطني والحاكم النيسابوري.

الثاني: ما رواه البيهقي والحاكم النيسابوري.

الثالث: ما رواه بن عبد البر .

---

(١) نقلاً عن مجلة تراثنا: ص١٣٥، العدد(٣٩) لسنة ١٤١٥ هـ الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت – عليهم السلام – لإحياء التراث.

(٢) حسن بن علي السقاف، صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ص٦٥٤. الناشر: دار الإمام النووي، عمان – الأردن.

أما ما رواه الدار قطني والحاكم: واللفظ للأول، قال: « **حدثنا أبـو بكر الشافعي ، نا أبو قبيصة محمد بن عبد الرحمن بن عمارة بـن القعقاع، نا داود بن عمرو ، نا صالح بن موسى، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : خلفت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتـاب الله وسنتي ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض** »[1].

أما السند : ففيه أبو قبيصة محمد بن عبد الرحمن بـن عمـارة لـم نجد له ذكر في كتب الرجال.

وصالح بن موسى، وهـو الطلحـي، فهـذا الرجـل ضـعيف متـروك الحديث، قال الذهبي في الكاشف، « واه» وقد ضعفه الرازي فـي الجرح والتعديل نقلا عن يحيى بن معين برواية الـدوري:« **قـال صالح بن موسى الطلحي ليس بشيء، نا عبد الرحمن قال سـألت أبى عن صالح بن موسى الطلحي فقال ضـعيف الحـديث منكـر الحديث جداً، كثير المناكير عن الثقات، قلت يكتب حديثـه قـال**

(١) الدار قطني، سنن الدار قطني،ج٤ ص١٦٠، الناشر : دار الكتب العلميـة – بيروت . المستدرك على الصحيحين:ج١ ص ٩٣.

ليس يعجبني حديثه»[(١)]. وقد أدرجه ابن عدي والعقيلي وأبو نعيم الاصبهاني في ضعفائهم ، فالرواية ضعيفة وساقطة.

وأما ما رواه البيهقي والحاكم: واللفظ للأول:« **عن ابن أبي أويس ثنا أبي عن ثور بن زيد الديلي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال يا أيها الناس انى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه** »[(٢)].

أما سند الحديث: فيكفينا أن الحديث فيه ابن أبي أويس وأبوه، ضعيفان، وقد أدرجهما العقيلي في الضعفاء وقال عنهما: «**حدثني محمد بن أحمد قال حدثنا معاوية بن صالح قال سمعت يحيى بن معين يقول أبو أويس وابنه ضعيفان وحدثني أسامة الرقاق بصري، يقول سمعت يحيى بن معين يقول إسماعيل بن أبي أويس يسوى فلسا»** [(٣)]. وقال في موضع آخر:« **حدثنا محمد قال حدثنا معاوية قال سمعت يحيى قال أبو أويس ضعيف مثل**

---

(١) أبو حاتم الرازي التميمي، الجرح والتعديل:ج٤ ص ٤١٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
(٢) البيهقي، السنن الكبرى:ج١٠ ص ١١٤، الناشر: دار الفكر – بيروت.
(٣) محمد بن عمرو العقيلي، الضعفاء: ج١ ص٨٧، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

فلـيح»[(١)]. وكـذلك ابـن عـدي فـي الكامـل فـي الضـعفاء، قـال:« **سمعت يحيى بن معين يقـول بـن أبـي أويـس وأبـوه يسـرقان الحديث وأبو أويس عبد الله بن عبد الله»**[(٢)]. وقـال أيضـاً:« **وفـي موضع آخر أبو أويس وابنه ضعيفان»**[(٣)].

وقد أورد المزي في تهذيب الكمـال: «**وقال أبـو بكـر بـن أبـي خيثمة ، عن يحيى بن معين : صدوق ضعيف العقل ، ليس بذاك ، يعني أنه لا يحسن الحديث ، ولا يعرف أن يؤديه ، أو يقـرأ مـن غير كتابه . وقال معاوية بن صالح، عن يحيى : أبو أويـس وابنـه ضعيفان . وقال عبد الوهاب بن أبي عصمة، عن أحمد بـن أبـي يحيى، عن يحيى بن معـين : ابـن أبـي أويـس وأبـوه يسـرقان الحديث. وقال إبراهيم بن عبد الله الجنيد ، عن يحيـى : مخلـط ، يكذب، ليس بشئ. وقال أبو حاتم: محله الصدق، وكـان مغفـلاً. وقال النسائي: ضعيف. وقال في موضع آخر : ليس بثقة . وقال أبو القاسم اللالكائي: بالغ النسائي في الكلام عليه ، إلى أن يؤدي إلى**

---

(١) محمد بن عمرو العقيلي، الضعفاء: ج٢ ص٢٧ .

(٢) عبد الله بن عدي الجرجاني، الكامـل فـي الضـعفاء: ج٤ ص١٨٢، الناشـر: دار الفكر – بيروت.

(٣) عبد الله بن عدي الجرجاني ، الكامل في الضعفاء: ج٤ ص١٨٣.

تركه»[(١)].

وأما ما رواه ابن عبد البر : قال:«حدثنا عبد الرحمن بن يحيى قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن إبراهيم الديبلي قال حدثنا علي بن زيد الفرائضي قال حدثنا الحنيني عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم»[(٢)].

ففي سنده ما لا يخفى، فإن (كثير بن عبد الله) قد ذكر ابن عبد البر نفسه، « **أنه مجمع على ضعفه**» نقلا عن ابن حجر في تهذيب التهذيب[(٣)]. وهو من أركان الكذابين وقد ضرب على حديثه، وللوقوف على ضعفه أذكر ما قاله المزي في موسوعته :« **قال أبو طالب : سألت أحمد بن حنبل عنه ، فقال : منكر الحديث، ليس بشيء .و قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : ضرب أبي على**

---

(١) المزي، تهذيب الكمال: ج٣ ص١٢٧-١٢٨، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت .

(٢) ابن عبد البر، التمهيد: ج ٢٤ ص٣٣١، الناشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.

(٣) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب:ج ٨ ص ٣٧٨، ترجمة كثير بن عبد الله بن عمرو. الناشر:دار الفكر- بيروت.

حديث كثير بن عبد الله في المسند و لم يحدثنا عنه .
و قال أبو خيثمة : قال لي أحمد بن حنبل : لا تحدث عنه شيئا .
و قال عباس الدوري ، عن يحيى بن معين : لجده صحبة ، و كثير ضعيف الحديث . و قال في موضع آخر : ليس بشيء .وقال عثمان بن سعيد الدارمى ، عن يحيى بن معين : ليس بشيء .
و قال أبو عبيد الآجرى : سئل أبو داود عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى ، فقال : كان أحد الكذابين ، سمعت محمد بن الوزير المصرى ، قال : سمعت الشافعى ، و ذكر كثير بن عمرو بن عوف ، فقال : ذاك أحد الكذابين أو أحد أركان الكذب»[1] .

إذن مما تقدم من ترجمتنا لهذه الأسانيد فلا يمكن أن نعتمد عليها، فهناك من قلنا بغفلته وسرقته للأحاديث والتخليط والكذب وضعف العقل وغير ذلك . فكيف يمكن لنا أن نأخذ بهذا الحديث ونصدق به.

دلالة هذه الأحاديث:

أما دلالة هذه الأحاديث فلا نشك في وهنها، فلو دققنا النظر فيها

---

(١) المزي، تهذيب الكمال:ج ٢٤، ص ١٣٧- ١٣٨.

لوجدناها مخالفة للعقل؛ وذلك أنه كيف يمكن أن نتصور أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول بذلك وهو العالم أن سنته لم تدون في عصره وكذلك بعد وفاته في عهد الصحابة[1]، فالسنة بدأ تدوينها

---

(١) روى الذهبي في تذكرته :«إن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه» تذكرة الحفاظ:ج١ ص٢.

وواضح من هذا النص المنع عن الكتابة (فلا تحدثوا) أي أنه ينهى عن الكتابة والاقتصار على الكتاب فقط. ولكن الذهبي فسر هذا الحديث بتفسير غريب، قال:« فهذا المرسل يدلك أن مراد الصديق التثبت في الأخبار والتحري لا سد باب الرواية» والظاهر إنه اعتمد على رواية الحاكم، قال:« وقد نقل الحاكم .. عن إبراهيم بن عمر بن عبيد الله التيمي حدثني القاسم بن محمد قالت عائشة جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيرا قالت فغمني فقلت أتتقلب لشكوى أو لشئ بلغك ؟ فلما أصبح قال أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها ، فقلت لم أحرقتها ؟ قال خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك » تذكرة الحفاظ:ج١ ص٥.

نقول: هل التثبت يحصل بحرق الأحاديث، أو قل بعبارة أخرى هل الحفاظ على السنة يتم بحرقها أم بتنقية الصحيح من السقيم منها، لاسيما أنه كان على مرأى ومسمع من هذه الأحاديث. فلو أراد الخليفة التثبت من الأخبار لأردف كلامه بقوله(عليكم بكتاب الله والسنة الصحيحة) بل نرى أن هذا الحديث يؤيد المنع وإن كان بقصد التثبت أو بغيره، وما فسره الذهبي لا معنى له؛ لان النص صريح فيه. أضف إلى ذلك أن المنع أيضا صدر من الخليفة عمر، روى شعبة عن قرظة بن كعب أنه قال : « لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر وقال أتدرون لم شيعتكم ؟ قالوا نعم تكرمة لنا قال ومع ذلك أنكم تأتون أهل قرية لهم دوي

في أواخر القرن الأول في عصر عمر بن عبد العزيز وأبي جعفر المنصور، وقد شابها الكثير من الوهن والضعف في كثير من الأحاديث، لذا قد شمر علماء الجرح والتعديل عن سواعدهم لتنقية بعض ما علق بها من شوائب، ولازالت جهود العلماء ليومنا هذا دؤوبة لتنقية الأسانيد وتصفية الأحاديث الصحيحة من السقيمة.

قال الشيخ السبحاني:« **ولما تسنم عمر بن عبد العزيز منصب الخلافة، أدرك ضرورة تدوين الحديث ، فكتب إلى أبي بكر بن حزم في المدينة، أن يقوم بتدوين الحديث قائلا : إن العلم لا يهلك حتى يكون سرا. ومع ذلك فلم يقدر ابن حزم على القيام بما أمر به الخليفة، لأن رواسب الحظر السابق المؤكد من قبل الخلفاء حالت دون أمنيته، إلى أن زالت دولة الأمويين وجاءت دولة العباسيين ، فقام المسلمون بتدوين الحديث في عصر أبي جعفر المنصور سنة (١٤٣هـ)..إن الخسارة التي لحقت بالتراث الإسلامي من منع تدوين السنة لا تجبر بتدوينه بعد مضي قرن**

بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم فلما قدم قرظة بن كعب قالوا حدثنا فقال نهانا عمر رضي الله عنه » تذكرة الحفاظ:ج١ ص٢. الناشر : دار إحياء التراث العربي- بيروت .

ونيف، وبعد موت الصحابة وكثير من التابعين الـذين رأوا النـور المحمدي وسمعوا منه الحديث ، ولم يحدثوا بما سمعوه إلا سرا ومن ظهر القلب إلى مثله . أضف إلى ذلك أن الأحبار والرهبـان والمأجورين للـبلاط الأمـوي نشـروا كـل كـذب وافتـراء بـين المسلمين»[١].

فهذا الحديث أي(بلفظ وسنتي) لا يمكن أن نأخذ به لما تقـدم من الخدشة في سنده وكذلك في دلالته. والصحيح هـو مـا تقـدم الحديث عنه وهـو أن العتـرة هـي القـرين للكتـاب ولا يمكـن أن تنتزع عنه إلى يوم القيامة يـوم الـورود علـى الحـوض، وفـي هـذا الحـديث إشـارة صـريحة إلـى أن العتـرة معنـا فـي كـل زمـان والمهدي من العترة فلازم ذلك التصديق والإذعان لهذه الحقيقة.

٢- حديث الغدير (من كنت مولاه فعلي مولاه)

إنّ أهمية حديث الغدير نابعة من اهتمام المولى جل وعـلا بـه وكذلك اهتمام رسول الله وكبار الصـحابة والعلمـاء، بحيـث نجـد أن الرواة لهذا الحديث من الصحابة بلغ أكثـر مـن مائـة وعشـرين صحابياً وصحابية، ولا نظن في السنة النبوية الشريفة كلهـا حـديثاً

---

(١)جعفر السبحاني، أضواء على عقائد الشيعة، ص٢٦٨،الناشـر : مؤسسـة الإمـام الصادق (ع) — قم.

آخر روته هذه الكثرة من الصحابة، أضف إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لم يقل هذا الحديث في بيته أو في مسجده أو في قلة من الصحابة، بل أعلن هذه الصرخة المدوية في جمع لم تسعهم المدينة كلها، فكانت صحراء المدينة مملوءة بهذا العدد الضخم، فتعد هذه الحادثة أكبر تظاهرة إسلامية شهدها التاريخ على عهد النبوة. ولبيان تفصيلات هذا الحديث الشريف نرى من الواجب أن نبحثه بنوع من التفصيل لأهمية في تثبيت هذه المرجعية .

عدد الحضور لهذه الواقعة

قال أبو يعلى في مسنده عن جابر:

«نظرت بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي مد بصري والناس مشاة وركبان»(١).

وقال ابن سعيد في الطبقات:

«فأجمع صلى الله عليه وسلم الخروج إلى الحج وأذن الناس بذلك فقدم المدينة بشر كثير يأتمون برسول الله ﷺ في حجته»(٢).

وهذا الكلام مأخوذ من حديث لجابر فيما أخرجه مسلم في صحيحه،قال:

«إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله حاج فقدم المدينة بشر كثير... حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك»(٣).

---

(١) أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى: ج٤ ص٢٤، دار المأمون للتراث، ١٤١٢هـ

(٢) محمد بن سعيد: الطبقات الكبرى، ج٢ ص١٧٢، دار صادر ـ بيروت.

(٣) مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، ج٤ ص٣٩، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، دار الفكر ـ بيروت.

إذن كان العدد في تلك التظاهرة والواقعة العظيمة لا يعد ولا يحصى، وهذه الحقيقة أكدها سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص في كلامه على حديث الغدير، قال:

«اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. الحديث، نص صلى الله عليه وآله على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة»[1].

السبب المعقول لهذا الحديث[2].

إن السبب الرئيسي والمهم لطرح هذه المسألة المهمة في الإسلام بحيث نجد رسول الله صلى الله عليه وآله تحمل هذا العناء وجمع هذا

---

(1) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص، ص٣٧، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام - بيروت.

(2) هناك من أثار شبهة حول سبب هذا الحديث، حيث قال:«هذا الحديث يذكر العلماء أن له سبباً وهو ما رواه ابن أبي شيبة بسنده عن بريدة، قال: مررت مع علي إلى اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت علياً فتنقصته... فقال: ألست أولى بالمؤمنين...». انظر: أحمد بن سعد الغامدي،حوار هادئ:ص ٣٤٠، ط ١٤٢٦ هـ الدمام.

فهنا نجد أن الدكتور الغامدي فصور الأمر على خلاف الواقع، ونترك الأمر لفطنة القارئ.

العدد الكبير من الناس في صحراء قاحلة، هو تنفيذ لأمر المولى جل وعلا المتمثل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[(١)].

فمن تأمل وتدبر في قوله: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ ثم أمعن النظر في قوله صلى الله عليه وآله:

«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعادي من عاداه» يجزم بأن هذا هو السبب الأساسي في هذه الواقعة.

قال الفخر الرازي بعد طرحه للآراء حول سبب نزول هذه الآية:

«العاشر: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فلقيه عمر رضي الله عنه، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي، ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي»[(٢)].

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير: ج١٢ ص٤٢، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ ـ بيروت.

وكل ما ذكره من الأسباب الأخرى لا يمكن أن تستقيم إلا مع هذا الرأي؛ لأننا لو نظرنا في سياق هذه الآية:

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ فهو ينبأ عن أمر خطير ومهم وليس هو إلا الإمامة، علماً أن رسول الله ﷺ كان يعلم أن هذه الحجة هي آخر أيام حياته ولابد أن يضع الأمة على بينة من أمرها، فهو يعلم ما سيقع في أواخر حياته، لذا جاء هذا الأمر الإلهي الذي لا مناص من التبليغ به.

قال الثعلبي في أسباب نزول هذه الآية:

«وقال أبو جعفر محمد بن علي: معناه بلغ ما أنزل إليك في فضل علي بن أبي طالب، فلما نزلت الآية أخذ عليه السلام بيد علي، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ثم ذكر عن البراء، قال: «**لما نزلنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع كنا بغدير خم، فنادى: إن الصلاة جامعة وكسح رسول الله عليه الصلاة والسلام تحت شجرتين وأخذ بيد علي، فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا مولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فلقيه عمر، فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى**

كل مؤمن ومؤمنة» [(١)].

رواة حديث الغدير

إنّ رواة حديث الغدير بلغ عدداً لا يستهان به وأكتفي بنقل مشاهير هؤلاء العلماء عبر القرون المختلفة، رواه أحمد بن حنبل وابن ماجة والترمذي والنسائي وأبو يعلى الموصلي والطبري وابن حبان والدار قطني والحاكم النيسابوري، وابن عبد البر، والخطيب البغدادي وأبو نعيم الأصبهاني، والبيهقي، والبغوي، وابن عساكر والضياء المقدسي صاحب المختارة، والذهبي وابن حجر العسقلاني والسيوطي وابن حجر المكي وغيرهم من الحفاظ الكبار لم نذكرهم لأننا نروم الاختصار فراجع.

تواتر حديث الغدير وصحته

أما من ذكر تواتر هذا الحديث، فإليك جملة من الأعلام الذين قالوا بتواتره:

١ـ الذهبي المشهور بتشدده وتعصبه، قال:

«فالحديث في أعلى درجات الصحة وهو من الأحاديث

---

(١) أبو إسحاق الثعلبي، تفسير الثعلبي: ج٤ ص٩٢، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٢٢هـ

المتواترة» (١).

٢ـ قال ابن حجر المكي في الصواعق المحرقة:

«إنه حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، فطرقه كثيرة جداً ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً... ولا التفات لمن قدح في صحته»(٢).

٣ـ ابن كثير الدمشقي، قال:

«قال شيخنا الحافظ أبو عبد الله الذهبي: الحديث متواتر، أتيقن أن رسول الله قاله» (٣).

٤ـ زين الدين المناوي الشافعي، حيث قال بشرح الحديث نقلاً عن السيرفي قال:**«حديث متواتر»** (٤).

٥ـ أبو عبد الله الزرقاني المالكي، قال:

«وهو متواتر رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابياً وشهدوا به

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٨ ص٣٣٥، الناشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(٢) ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة: ج١ ص١٠٦ـ ١٠٧، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١ ـ ١٩٩٧هـ.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية: ج٥ ص٢٣٣، حوادث سنة (١٠هـ).

(٤) المناوي، فيض القدير: ج٦ ص٢٨٢، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

لعلي لما نوزع أيام خلافته، فلا التفات إلى من قدح في صحت»[(١)].

٧ـ الفقيه ضياء الدين المقبلي:

«**إن لم يكن معلوماً فما في الدين معلوم**»[(٢)].

وهو بذلك يشير إلى أنه في أعلى مراتب الصحة ووضوحه كالشمس في رابعة النهار.

إلى غير ذلك من الأقوال التي أشارت إلى تواتره وأنه في أعلى مراتب الصحة.

دلالات حديث الغدير على إمامة علي عليه السلام

بعد أن أخذ الرسول صلى الله عليه وآله منهم الإقرار وأشهدهم على أنه أولى بهم من أنفسهم، كما في قوله تعالى: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [(٣)]

فهنا النبي صلى الله عليه وآله أشهدهم على أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم في كل مالهم الولاية عليه، فأخذ الإقرار على هذا المعنى، ثم

---

(١) الزرقاني، شرح المواهب اللدنية: ج٧ ص١٣.

(٢) الأميني، الغدير: ج١ ص٣١٤، عن كتابه هداية العقول إلى غاية السؤول، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط ـ ١٣٩٧هـ.

(٣) الأحزاب: ٦.

فرع هذه الولاية بقوله: «**من كنت وليه**» أو في بعض الألفاظ «**فعلي مولاه**» أو «**فمن كنت أميره فعلي أميره**» وبذلك أثبت رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي ما ثبت له من الأولوية بالناس ـ أي من أنفسهم، وهم بايعوه على هذا وسلموا له بذلك وهنأوا علياً، كما ورد عن الخليفة عمر:

«**بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم**»فأنزل الله: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [(١)].

٣- حديث السفينة

لا يخفى أن حديث السفينة هو من الأدلة الجلية والواضحة التي تشير إلى مرجعية أهل البيت عليهم السلام ولزوم اتباعهم .

أخرج أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة بسنده عن حنش الكناني، قال: «**سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة: من عرفني، فأنا من قد عرفني، ومن أنكرني، فأنا أبو ذر سمعت النبي**

---

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج٨ ص٢٨٤، دار الكتب العلمية، ط ١٤١٧هـ ـ بيروت.

[صلى الله عليه وآله] يقول: ثم ألا إنّ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»[1].

الصحابة الذين رووا حديث السفينة

فقد رواه عدد من الصحابة، نذكر منهم :

الإمام علي عليه السلام وعبد اللّه بن عباس وأبي ذر الغفاري وأبي سعيد الخدري وانس بن مالك وعامر بن واثلة وسلمة بن الاكوع وعبد اللّه بن الزبير وأبي الطفيل الكناني .

تخريج الحديث

خرّج هذا الحديث مجموعة كبيرة من أعلام أهل السنة كابن أبي شيبة [2]. والطبري في المعجم الكبير والأوسط والصغير[3]،

---

(١) أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة: ج٢ ص٧٨٥، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١ـ ١٤٠٣هـ ؛ الحاكم النيسابوري المستدرك: ج٢ ص٣٤٣.

(٢) ابن أبي شيبة، المصنف: ج٧ ص٥٠٣، تحقيق: سعيد اللحام، الناشر : دار الفكر – بيروت .

(٣) الطبراني، المعجم الكبير: ج٣ ص٤٥ـ ٤٦؛ الطبراني، المعجم الأوسط: ج٤ ص١٠ ج٥ ص٣٥٤ـ ٣٥٥، ج٦ ص٨٥؛ الطبراني، المعجم الصغير: ج١ ص١٣٩ـ ١٤٠، ج٢ ص٢٢.

والحاكم في المستدرك[1]، والخطيب البغدادي في تاريخه[2] وأبو نعيم في حلية الأولياء[3] وغيرهم من الحفاظ.

صحة الحديث

إن صحة حديث السفينة لا ريب فيه حيث صححه الحاكم في المستدرك وقال عنه: «**حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه**»[4]ورواه ابن أبي شيبة بسند صحيح، قال:« **حدثنا معاوية بن هشام قال ثنا عمار عن الأعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحارث عن علي قال : إنما مثلنا في هذه الأمة كسفينة نوح وكتاب حطة في بني إسرائيل**»[5].

ترجمة السند

وأما ترجمة السند:

أما معاوية بن هشام فهو القصار وثقه الذهبي في الكاشف(كوفي

(١) الحاكم النيسابوري، المستدرك: ج٢ ص٣٤٣.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج١٢ ص٩٠.
(٣) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء: ج٤ ص٣٠٦، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط٤ـ ١٤٠٥هـ
(٤) الحاكم النيسابوري، المستدرك: ج٢ ص٣٤٣.
(٥) ابن أبي شيبة، المصنف: ج٧ ص٥٠٣، تحقيق: سعيد اللحام، الناشر : دار الفكر – بيروت .

ثقة)[1]، وأما عمار فهو ابن رزيق الكوفي وثقه الإمام احمد (كان من الأثبات) وقال ابن المديني(ثقة)[2]. وغيرهم .

وأما الأعمش فهو سليمان بن مهران، وثقه الذهبي(الحافظ أحد الأعلام)[3]، وابن حجر العسقلاني(ثقة حافظ).

وأما المنهال فهو ابن عمرو الأسدي وثقه يحيى بن معين والعجلي[4] .

وأما عبد الله بن الحارث فهو أبو الوليد البصري روى له البخاري ومسلم، وثقه الذهبي (وثقوه)[5]، ووثقه ابن حجر العسقلاني(ثقة من الثالثة)[6]. فالسند تام وفي غاية الصحة والمتانة.

ابن تيمية يقوي الحديث لتعدد طرقه وكثرة مخارجه

أضف إلى ذلك أن لهذا الحديث طرق متكثرة ومتشعبة تعطي للحديث قوة وترفعه إلى درجة الصحة أو الحسن، وهذا ابن

---

(١) الذهبي، الكاشف:ج٢ ص٢٧٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب:ج٧ص٤٠١.

(٣) الذهبي، الكاشف : ج ١ص ٤٦٤،تقريب التهذيب: ج١ص ٢٥٤

(٤) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب:ج ١٠ ص٣٢١.

(٥) الذهبي، الكاشف:ج١ص ٥٤٤.

(٦) ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب:ج١ص٢٩٩.

تيمية شيخ الإسلام لا ينكر تقوي الحديث بتعدد طرقه وتباين مخارجه ويعتبر ذلك في كثير مما يورده من الأحاديث.

قال في حديث روي من طريق عبد الرحمن بن مالك:

وإنما ذكرنا هذا لأن عبد الرحمن وكثير من الناس لا يحتج بروايته المفردة إما لسوء حفظه وإما لتهمة في تحسين الحديث وإن كان له علم ومعرفة بأنواع من العلوم ولكن يصلحون للاعتضاد والمتابعة كمقاتل بن سليمان ومحمد بن عمر الواقدي وأمثالهما فإن كثرة الشهادات والأخبار قد توجب العلم وإن لم يكن كل من المخبرين ثقة حافظا حتى يحصل العلم بمخبر الأخبار المتواترة وإن كان المخبرون من أهل الفسوق»[1].

وقال المناوي في فيض القدير في نقده لابن الجوزي فيما أورده من أحاديث ضعفها في كتابه الموضوعات: « **وقال الدمياطي : له طرق كثيرة إذا انضم بعضها إلى بعض أحدثت قوة ونقل الذهبي في تاريخه عن السيف ابن أبي المجد الحافظ قال صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات..ومما لم يصب فيه إطلاقه**

---

(١) ابن تيمية الحراني، منهاج السنة:ج١ ص٥٦، الناشر: مؤسسة قرطبة ، ط١، ١٤٠٦ هـ.

الوضع على أحاديث بكلام بعضهم في أحد رواتها كفلان ضعيف أولين أو غير قوي وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه ولا يعارض الكتاب والسنة ولا حجة بأنه موضوع سوى كلام رجل في رواته وهذا عدوان ومجازفة»[(١)].

لذا نجد إن ابن حجر الهيتمي في الصواعق يقر بصحة هذا الحديث لهذه القاعدة، قال: «**وجاء من طرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً مثل: أهل بيتي، وفي رواية: إنما مثل أهل بيتي، وفي أخرى: إنّ مثل أهل بيتي، وفي رواية: ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، وفي وراية: من ركبها سلم ومن تركها غرق، وأنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له...**»[(٢)] وقال الحافظ السخاوي: «**وبعض هذه الطرق يقوي بعضاً**»[(٣)].

---

(١) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير: ج٦ص٢٥٦، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت .

(٢) ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ج٢ ص٤٤٦، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١ـ ١٩٧٧هـ

(٣) السخاوي، استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف: ج٢ ص٤٨٤ ح٢٢٠، ، الناشر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط ١٤٢١هـ

دلالة الحديث

أما دلالة الحديث فلا تحتاج إلى مزيد بيان في أنّ أهل البيت هم سبل النجاة وأعلام الهداية في بحر الضلالة والغواية، فتشبيههم بسفينة نوح عليه السلام تارة وبباب حطة أخرى له أبلغ الدلالة على أنّ الطريق الصحيح للسنة النبوية من بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله منحصر بهم، فلابد من ركوب سفنهم للوصول إلى السنة الحقيقية.

قال المناوي: «**ووجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبهم وعظّمهم شكراً لنعمة جدهم وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في معادن الطغيان**»[1].

وقال الملا علي القاري: «**(ألا إن مثل أهل بيتي)، بفتح الميم والمثلثة أي شبههم (فيكم مثل سفينة نوح) أي في سببية الخلاص من الهلاك إلى النجاة، (من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك) فكذا من التزم محبتهم ومتابعتهم نجا في الدارين، وإلا فهلك فيهما**»[2].

---

(1) المناوي، فيض القدير: ج٥ ص٦٦٠.

(2) محمد القاري، مرقاة المفاتيح: ج١١ ص٣٢٧.

ولا شك أنّ الخلاص والنجاة من الهلاك وركوب السفينة لا يتحقق بمجرد المحبة، ما لم يتحقق معه الأخذ بتعاليمهم وأوامرهم والرجوع إليهم في أمور الدين والدنيا، وإلا فلا يحصل معنى ركوب السفينة والنجاة من الهلاك والغرق، وهو نفس المعنى الذي قدمناه في حديث الثقلين، فكلاهما نجاة وعصمة للأمة من الضلال .

٤- حديث عدم التقدم عليهم والتقصير عنهم

روى الطبراني في المعجم الكبير وعنه الهيثمي في الزوائد والمتقي الهندي في كنز العمال، بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله:«...**إني سألت ذلك لهما فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم**»[1].

وعلق عليه ابن حجر الهيتمي:«**وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم - فلا تقدموهم فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم - دليل على أن من تأهل منهم للمراتب**

---

(١) المعجم الكبير: ج٣ ص٦٦، مجمع الزوائد: ج٩ص١٦٤، كنز العمال: ج١ص١٨٨.

ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ج٢ص٤٩٣، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت ط١ ١٤١٧هـ

العلية والوظائف الدينية كان مقدماً على غيره»[١].

٥- حديث الإقتداء والموالاة

وروى الحاكم النيسابوري بسند صحيح:

«عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يريد أن يحيى حياتي ويموت موتى ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتول علي بن أبي طالب» ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»[٢].

وأخرج أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء:

بسنده **«عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليا من بعدي وليوال وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي للقاطعين بهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي»**[٣].

إذن فموالاة علي عليه السلام والإقتداء به وبالأئمة من بعده

---

(١) ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة: ج٢ص٤٩٣.

(٢) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج٣ص١٢٨.

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء: ج١ص٨٦، الناشر دار الكتاب العربي بيروت، ط٤-١٤٠٥ هـ

وهم عترته عليهم السلام، توجب السرور والحياة والحشر والجنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

ابن حجر العسقلاني يضعف ويوثق في أن واحد

والغريب أن الحافظ ابن حجر العسقلاني حينما يذكر هذا الحديث في كتاب الإصابة عند ترجمته لـ (زياد بن مطرف) قال معلقاً عليه:

«**قلت في إسناده يحيى بن يعلي المحاربي وهو واه**»[1].

في حين أن ابن حجر نفسه قد وثقه في كتابه تقريب التهذيب، قال:

«**يحيى بن يعلى بن الحارث المحاربي الكوفي ثقة من صغار التاسعة، مات سنة ست عشرة**»

ثم ذكر رمز من روى له: (**خ م دس ق**) [2].أي البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

فالرجل ثقة روى له أصحاب الصحاح لاسيما الشيخان البخاري ومسلم، ومعلوم أن الذي يروي له البخاري فقد جاز القنطرة.

(١) ابن حجر العسقلاني، الإصابة: ج٢ص٤٨٥، ترجمة زياد بن مطرف.
(٢) تقريب التهذيب: ج١ص٥٩٨، رقم الترجمة ٧٦٧٥.

وكذلك وثقه ابن أبي حاتم والذهبي:

قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل:

«يحيى بن يعلى بن الحارث المحاربي أبو زكريا الكوفى.. قال سألت أبى عنه فقال هو ثقة»[1].

وقال الذهبي في الكاشف:

«يحيى بن يعلى المحاربي الكوفي عن أبيه وزائدة وعنه البخاري وأبو حاتم ثقة» ثم ذكر من روى عنه مشيراً له بالرموز (خ م د س ق)[2].

إذن فالحافظ ابن حجر وقع في تناقض واضح، والحديث صححه الحاكم كما تقدم.

٦- حديث الأمان لأهل الأرض

روى الحاكم النيسابوري بسند صحيح:**«عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس. هذا حديث**

---

(١) ابن أبي حاتم الرازي، الجرح والتعديل: ج٩ص١٩٦، رقم الترجمة ٨٢١.

(٢) الذهبي، الكاشف: ج٢ص٣٧٩، رقم الترجمة ٦٢٧٠.

صحيح الإسناد ولم يخرجاه» [(١)].

وأخرج أيضاً بسند صحيح عن جابر رضي الله عنه:« **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وانه لعلم للساعة فقال النجوم أمان لأهل السماء فإذ أذهبت أتاها ما يوعدون.. وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون. صحيح الإسناد ولم يخرجاه»** [(٢)].

قال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: « **قوله تعالى: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، أشار إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته وإنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو أمانا لهم وفي ذلك أحاديث كثيرة»** [(٣)].

٧- حديث نفي التحريف عن الدين

أخرج ابن حجر في الصواعق عن الملا عن عمر:«**أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: في كل خلوف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وان أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا**

(١) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٩.
(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٢ ص٤٤٨.
(٣) الصواعق المحرقة: ج٢ص٤٤٥.

بمن توفدون» [١].

وهذا الحديث بغض النظر عن سنده نقطع بصحته؛ لأن هناك أحاديثاً كثيرة بهذا المضمون صحيحة كما تقدم، فلا يضر عدم وجود السند أو ضعفه.

وهناك من الأحاديث الكثيرة والصحيحة التي وردت بطرق كثيرة يقوي بعضها البعض الآخر، كما تقدم في حديث السفينة وباب حطة وحديث الأمان وغيرها تؤكد هذا المضمون .

فلو سألنا الذين يرومون الفرقة وبث الفتنة بين المسلمين:

من هم هؤلاء الذين من تقدمهم ومن قصّر عنهم هالك وكذلك من يدعي أن غيرهم أعلم منهم.

ومن هم الذين قرنهم الله بكتابه فكان التمسك بهما منقذاً من الضلالة إلى قيام الساعة؟

ومن هم الأمان لأهل الأرض إلى يوم القيامة كما ينقل المناوي؟

ومن هم الذين ينفون التحريف عن الدين، وعلى من تنطبق هذه الأوصاف؟

---

(١) الصواعق المحرقة: ج٢ص٦٦٧

آية التطهير تعطي المصداق لمرجعية أهل البيت عليهم السلام

وهذا ما أجابت عنه نفس السنّة ووضحته، فقد أخرج الترمذي في سننه عن عمر بن أبي سلمة، قال: **«لما نزلت هذه الآية على النبي [صلى الله عليه وآله]: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ في بيت أم سلمة، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً، فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره، فجلله بكساء، ثم قال: اللهم، هؤلاء أهل بيتي، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت إلى خير»**[1].

قال عنه الألباني: «**صحيح**»[2]، وأخرجه غيره من المحدثين والعلماء، كالطبري في جامع البيان[3]. والطحاوي في مشكل الآثار[4].

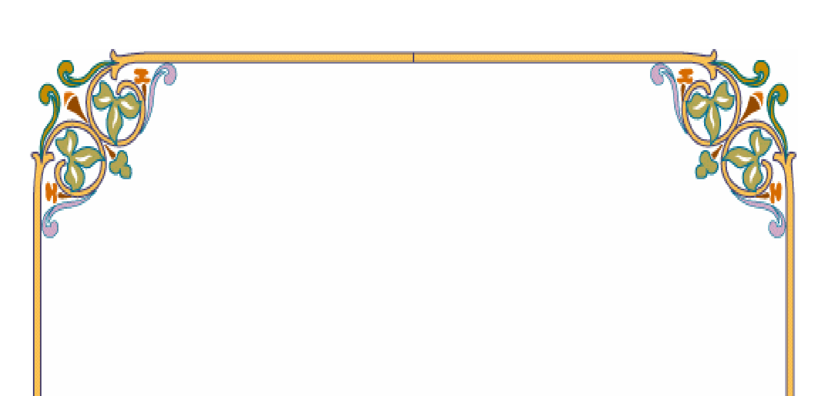
وواضح أن الآية دالة على عصمة أهل البيت عليهم السلام وذلك بنفي مطلق الرجس عنهم واختصاصهم بها.

ومن كان كذلك فلابد أن يكون هو ذلك المصداق لتلك المرجعية بحكم كونهم معصومين من الخطأ والذنب.

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي: ج٥ ص٣٢٨.
(٢) الألباني، صحيح سنن الترمذي: ج٣ ص٣٠٦ ح ٣٢٠٥.
(٣) الطبري، جامع البيان: ج٢٢ ص١٢ ح٢١٧٣٦.
(٤) الطحاوي، مشكل الآثار: ج١ ص٣٣٥.

إذن فأهل البيت عليهم السلام هم الامتداد الطبيعي للرسول الأكرم ﷺ، وهم حملة لواء الشريعة الإسلامية، وأتباع أهل البيت وشيعتهم إنما يتبعون من أمر الله أن يتمسك بهم ويهتدي بهداهم ويقتبس من نورهم.



الفصل الخامس

أفاق الوحدة بين المسلمين

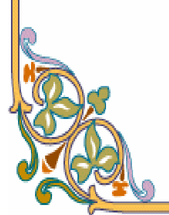
❊ توطئة

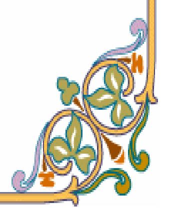
❊ تنوع مفهوم الوحدة في القرآن

❊ مبادئ وأسس تحقيق الوحدة الإسلامية

❊ علماء السّنة يثنون على مذهب الشيعة والتعبد به

❊ ميثاق الوحدة عند الإمام علي عليه السلام





توطئة

بعدما تقدم من بيان مرجعية أهل البيت عليهم السلام والتي دلت عليها النصوص المتواترة والصحيحة وهذه المرجعية أتسمت خطوطها الرئيسية بالاعتدال والوسطية فهم من ينفي التحريف وهم الأمان وهم وهم..، والشيعة اقتفت هذا الأثر لاسيما في مفردة تقييم الصحابة على ضوء ما ورثوره من أحاديث عن العترة والثقل الآخر للكتاب، ولكن هذا لا يعني عدم الحوار مع المذاهب الأخرى، الذي هو مدعاة للوحدة والقرب بين طوائف المسلمين، فإن قوام الوحدة والتقريب هو بيان ما اختلفنا عليه ومناقشته بروح الاعتدال والصدق فلا مجاملة في هذا الموضوع، فإن كل فريق له فهم خاص للنصوص حسب رؤيته الاستدلالية والأدوات التي من خلالها يفهم النص القرآني، وهذا لا يعني أيضاً أن نلغي الآخر أو نكفره أو نسبه ونلعنه - كما ينسب افتراءً إلى الشيعة- بل ثقافة التكفير ليس من قاموس ومفردات مذهب الإمامية وهذا جلي وواضح لمن نظر إلى التأريخ بعين فاحصة ومنصفة.

فحري بنا كأمة مسلمة أن نحدد نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف للوصول إلى المشتركات بين الجميع، فالوحدة هي المبتغى للوصول إلى الأمة الواحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[1].

وقال تعالى:﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[2].

فالقرآن يصوغ ويؤكد على مفهوم الأمة الواحدة، القادرة على التعايش والتكيّف فيما بينها، فما أحوجنا اليوم الى تجسيد وتفعيل هذا المفهوم الكبير على أرض الواقع- وإن اختلفنا - للوصول إلى الأهداف الكبرى التي تجمع شمل المسلمين على كلمة التوحيد.

ولابد لنا وواجب علينا كمسلمين تأكيد نقاط الالتقاء فيما بيننا، ولنا أسوة حسنة في تجربة تقريب الوحدة بزعامة الشيخ محمد تقي القمي والشيخ محمود شلتوت في الخمسينات، فكانت تجربة ناجحة ورائعة رغم وقوع الاختلاف، حيث استطاع العلماء من كلا الطائفتين مناقشة قضايا متعددة فيها كثير من

---

(١) المؤمنون: ٥٢.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

المشتركات، ووضع مما اختلف فيه على طاولة البحث العلمي والموضوعي للوصول الى النتائج التي تؤلف بين قلوب المسلمين.

وكذلك ما نجدة من تقارب وتآخي بين الشيخ التلميذ محمد عبده وبين أستاذه ومعلمه السيد جمال الدين الأفغاني، فتلك العلاقة والرابطة الأخوية تدل على عمق الوحدة بينهما مع اختلاف مذهبيهما.

وما بذله المصلح الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء الذي كانت كلماته وخطابه ومناقشاته الموضوعية التي تدعو إلى وحدة المسلمين عموماً فكان بحق مصلحاً تفتخر به الأمة الإسلامية.

وأيضاً الحوار الهادئ والمثمر والهادف بين السيد شرف الدين وبين الشيخ سليم البشري المالكي، حيث كان التسامح والمودة في طرح كل منهما وجهة النظر التي يؤمن بها، ومن ثم الالتقاء على ما هو الصحيح في العقيدة فجاء كتاب المراجعات ليدلنا على عمق الحب بين المذهبين وان كان هناك اختلاف في الرؤى والمعتقد.

إذن لابد لنا من إشاعة روح التسامح والمحبة والود وحسن

الظن بالآخر، فما لم نحمل تلك الروح لا يمكن أن نصل الى مفهوم الأمة الواحدة التي نادى بها القران للوحدة بين المسلمين.

تنوع مفهوم الوحدة في القرآن

وعليه نرى أن الوحدة واجبة بين المسلمين فقد تنوعت أساليب القرآن الكريم في الدعوة لهذا المفهوم فتارةً يدعو صراحة كما في قوله تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّه جَميعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نعْمَةَ ٱللَّه عَلَيْكُمْ إذْ كُنتُم أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبكُمْ فَأَصْبَحْتُم بنعْمَته إخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَة مّنَ ٱلنَّار فَأَنقَذَكُمْ مّنْهَا كَذٰلكَ يُبَيّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءايَـٰته لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

قال القرطبي في تفسيره:

«فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة. ورحم الله ابن المبارك حيث قال: إن الجماعة حبل الله فاعتصموا * منه بعروته الوثقى لمن دانا»[2].

وقال السيد الطباطبائي في ميزانه:

«هذه الآية تتعرض لحكم الجماعة المجتمعة والدليل عليه قوله

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) تفسير القرطبي: ج٤ص١٥٩، الناشر. دار إحياء التراث العربي – بيروت.

جميعاً وقوله ولا تفرقوا فالآيات تأمر المجتمع الإسلامي بالاعتصام بالكتاب والسنة كما تأمر الفرد بذلك»[1].

وتارة أخرى نجد أن القرآن الكريم يأمر بأشياء للوصول إلى الوحدة منها الإصلاح بين الأخوين وإصلاح ذات البين فهي من الأمور التي تخلق الوحدة بين المسلمين قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2].

وقال جل وعلا: **﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ ﴾**[3].

قال الإمام الصادق عليه السلام:

« المسلم أخو المسلم، وحق المسلم على أخيه المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروي ويعطش أخوه، ولا يكتسي ويعرى أخوه فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم»[4].

روى البخاري بسنده عن أَنَسُ بْنُ مَالِك أَنَّ رَسُولَ اللَّه قَالَ:

« لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا

---

(١) تفسير الميزان: ج٣ص٣٦٩.
(٢) الحجرات: ١٠
(٣) الأنفال: ١.
(٤) بحار الأنوار: ج٧١ص٢٢١.

ولا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» [(١)].

إذن هذه أدلة صريحة تأمر المسلمين بشكل عام بكل ما يزيد المحبة بينهم، والنهي عن كل ما يولد البغضاء في صفوفهم، وتأمرهم صراحة بأن يكونوا إخوة، ولا يمكن للمسلمين أن يكونوا إخوة إلا إذا كانوا متحدين غير متفرقين، فإن الأخوة ضد الفرقة والاختلاف.

ومن أساليب القرآن والسنة في الدلالة على وجوب الوحدة بين المسلمين النهي الصريح عن الافتراق والاختلاف الذي هو ضد الوحدة والاجتماع.

قال الله عز وجل:

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [(٢)].

وكذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [(٣)].

---

(١) صحيح البخاري: ج٧ص٨٨.
(٢) الأنفال: ٤٥.
(٣) آل عمران: ١٠٥.

وأيضاً ذكر القرآن أسلوباً آخر للحث والتقريب والألفة بين المسلمين وهو أن يكون المؤمنون أولياء بعضهم للبعض الآخر يحب احدهم الآخر، وعندئذ تكون الرحمة قد نزلت عليهم لتآخيهم ومودتهم وحبهم فيما بينهم.

قال الله تعالى:﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[1].

---

(١) التوبة: ٧١.

مبادئ وأسس تحقيق الوحدة الإسلامية

لو أردنا أن نخلق الوحدة الإسلامية الحقة لابد أن نضع لها مبادئ وأسس من شأنها أن تقرب بين المسلمين بصورة صحيحة وجادة نذكر منها ما يلي:

الأساس الأول: الإيمان الواقعي بالوحدة بين المسلمين:

وأقصد به أن يكون إيماننا بالوحدة إيماناً حقيقياً نابعاً من الشعور بالمسؤولية أمام الله وأمام الشعوب، وطرح هذا الأمر كمشروع ونظرية حقيقية لنرتقي به إلى المصالح العامة، ومن ثم وضع الخطوات الأساسية له من خلال التنسيق بين الدول الإسلامية كافة بشكل حقيقي وعلى أعلى المستويات، بحيث يشاع ويتركز هذا المفهوم كخطاب وحدوي يؤمن به المسلمون بجميع أعراقهم ومذاهبهم.

الأساس الثاني: التركيز على القواسم المشتركة:

هناك نقاط كثيرة تجمع المسلمين وتوحدهم، سواء كان على مستوى العقيدة أو الفقه أو غيرها، ولنا تجربة ناجحة كما تقدم في مشروع الشيخ القمي والشيخ شلتوت ومحمد عبدة وجمال

الـدين الأفغـاني والسـيد شـرف الـدين والشـيخ سـليم البشـري وغيرهم. فهناك قواسم مشتركة لابد من غرسها فـي أذهـان الأمـة الإسـلامية وجنـي ثمارهـا بمشـروع وحـدوي لا يمكـن أن يفـت عضده أعداء الإسلام مهما جندوا له من أفكار مضادة.

الأساس الثالث: زرع ثقافة الحوار والرأي والرأي الآخـر بحكمـة وشفافية :

إن ثقافة الحوار هي مبدأ إسلامي ركز عليـه القـرآن، قـال تعـالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّـذِي بَيْنَـكَ وَبَيْنَـهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2]. فالعدو بغـض النظـر عـن هويتـه كمـا نفهم من هذه الآية الشريفة عند الحوار بالتي هـي أحسـن، يخلـق جواً هادئاً من الألفة بينهمـا بحيـث يكـون ولـي وحمـيم، فكيـف الحال لو كان الحوار بين الأخـوة- أخـوة الايمـان وأخـوة الـدين والعقيدة- فيما بعضهم البعض، نعتقد أن الحوار هو لبنة مهمة فـي

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج٣ص٨٤.

بناء الوحدة الإسلامية لكي يفهم بعضنا البعض ونذيب ما يعكر صفو الوئام بيننا ونجتمع على كلمة السواء.

الأساس الرابع: مبدأ التسامح والارتقاء الى روح المحبة والإخاء.

لعل واحدة من أهم المشاكل التي أدت الى انتكاس الأمة الإسلامية وتمزيقها هي أننا لم نتعلم منهج التسامح والحب للآخرين، فلا يوجد لدينا كأمة مسلمة منهج صحيح للتسامح؛ بل العنف وعدم تقبل الآخر هو السائد بيننا وواقعنا يشهد بذلك، فما لم نصلح هذا الحال فنقع فريسة الجهل الذي يخلق لنا مجتمع يسوده السباب والشتائم وبالتالي حمل السلاح ليوجهه لصدر أخيه المسلم، والنتيجة هي أمة ضعيفة منقسمة على نفسها مستضعفة لا حول لها ولا قوة بين شعوب العالم الطامحة الى الحضارة والرقي.

الأساس الخامس: المصارحة الفكرية والعقائدية وعدم إلزام الآخر بها.

فالوحدة لا تعني إلغاء الآخر أو إقصائه وقصره على اعتناق ما يؤمن به هو؛ بل الوحدة المطلوبة قوامها هو معرفة الآخر معرفة

حقيقية ومن ثم بيان الحق الذي أوصله الدليل إليه، ومناقشة الأمور الخلافية بروح من التسامح ووضع الحلول المناسبة لها، من دون أن يلزمه بها، والنأي عن التشدد في الحوار المتشنج الذي من شأنه أن يفرق ولا يقرب؛ لان فهم الآخر له دور كبير في فتح العقول المنغلقة على ذاتها ونفسها فقط، فهو الصحيح المطلق دائماً وغيره الباطل المطلق، فالصورة التي يستبطنها عن الغير مشوهة مبهمة لأنه لم يقرأ فكر الآخر وكتبه وأدلته.

يقول الشيخ لطف الله الصافي عند تعرضه لهذا الأمر:

«لينظروا في أدلة (الشيعة) بكل إمعان وتدبر، فهذا هو الذي تطلبه الشيعة من كل باحث؛ لان ذلك لا يزيد الحق إلا وضوحاً كما أنه يرسخ التجاوب والتفاهم بين الطائفتين، ويؤكد الإخوة الإيمانية بينهما. فكم يوجد من أهل السنة من يراجع كتب الشيعة في التفسير والفقه، والكلام والأدب، ويقدر نبوغهم وجهودهم في العلوم الإسلامية ويعظم اتصاف علمائهم بالصدق والورع والأمانة، ويتعمق في آرائهم ومقالاتهم، وربما يأخذ بها كما يأخذ بآراء علماء طائفته؛ بل إنه بعد التحقيق يرجح في بعض المسائل مذهب الشيعة»[1].

(١) لطف الله الصافي، مجموعة الرسائل: ص٢٨٤.

إذن فالانغلاق على الذات وعدم الانفتاح على الآخرين واتهامهم بالشرك والضلال من دون النظر إلى أقوالهم وأدلتهم، هذه الأمور بمجموعها تخلق لنا مجتمعاً متفرقاً ضعيفاً تسوده الصراعات الطائفية ويهيمن عليه الجهل، ونحن اليوم بأمس الحاجة لان يفهم أحدنا الآخر ويقترب منه فكرياً وروحياً بصورة حقيقية وواقعية وإن كان هناك اختلافا في بعض المسائل، وهذا هو الأمل من كل ما طرحناه في هذا البحث.

قال الدكتور مصطفى الرافعي في كتابه إسلامنا:

« إن الاختلاف سنة من سنن الاجتماع، وإنما التثريب عليهم في أن يتنازعوا ويتخاصموا ويتنابزوا بالألقاب، في وقت تنشط الأمم كافة إلى الترابط والتعاون والتناصر فيما بينها، ليسند بعضها بعضا، ويدفع بعضها عن بعض، ويكون بعضها في خدمة بعض ، ونحن المسلمين على اختلاف مذاهبنا أولى بهذا منهم، اعتمادا على ما يشد بعضنا إلى بعض من وشائج كثيرة، تأتي طليعتها وشيجة الأخوة الإسلامية ﴿ إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ [1]».

(١) مصطفى الرافعي، إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعة: ص ٢١٣، الناشر: الدار الإسلامية- بيروت، ط٢، ١٤١٢ هـ.

علماء السنة يثنون على مذهب الشيعة والتعبد به

نتقل بعض الشهادات التي صدرت من علماء أهل السنة التي أثنت على مذهب أهل البيت عليهم السلام وكذلك التعبد به:

١- الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر

قال في فتواه المشهورة:« **إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل نقول إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة ولمن قلدّ مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره -أي مذهب كان- ولا حرج عليه في شيء من ذلك.**

[و]إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة»[1].

٢- الأستاذ الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر

قال معقباً على الفتوى التي أصدرها الشيخ شلتوت:« **ورحم الله الشيخ شلتوت الذي التفت إلى هذا المعنى الكريم، فخلد في فتواه**

---

(١) مجلة رسالة الإسلام: العدد الثالث، السنة ١٩٥٩ م ص ٢٢٨.

الصريحة الشجاعة»[1]. وواضح من كلامه جواز العمل بمذهب الشيعة الإمامية.

٣- الشيخ محمد الغزالي

قال:« وأعتقد أن فتوى الأستاذ الأكبر محمود شلتوت، قطعت شوطاً واسعاً في هذا السبيل، واستئناف لجهد المخلصين من أهل السلطة وأهل العلم جميعاً، وتكذيب لما يتوقعه المستشرقون، من أن الأحقاد سوف تأكل الأمة، قبل أن تلتقي صفوفها تحت راية واحدة... وهذه الفتوى في نظري، بداية الطريق وأول العمل.

وقال أيضاً:

«إن الشيعة يؤمنون برسالة محمد، ويرون شرف علي في انتمائه إلى هذا الرسول، وفي استمساكه بسنته، وهم كسائر المسلمين، لا يرون بشراً في الأولين ولا في الآخرين أعظم من الصادق الأمين»[2].

٤- محمد رشيد رضا

قال:«وقد صرحوا - أهل السنة - بصحة إيمان الشيعة، لأن الخلاف معهم في مسائل لا يتعلق بها كفر ولا إيمان، فالشيعي

---

(١) الرافعي، إسلامنا: ص ٥٩.
(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة: ص٢٥٧.

مسلم له أن يتزوج بأي مسلمة. وإذا نظرنا إلى ما أصاب المسلمين من التأخير والضعف بسبب العداوة المذهبية، وأننا في أشد الحاجة إلى التآلف والتعاطف والاتحاد يتبين لنا أن مصاهرة المخالف في المذهب ضرورية»[١].

٥- حسن البنا (المرجع الروحي للإخوان المسلمين في العالم).

قال:«اعلموا أن أهل السنة والشيعة مسلمون، تجمعهم كلمة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذا أصل العقيدة، والسنة والشيعة فيه سواء وعليه التقاؤهم، أما الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب فيها بينهما»[٢].

٦- الشيخ محمد أبو زهرة

قال:«لا شك أن الشيعة فرقة إسلامية... ولا شك أنها في كل ما تقول تتعلق بنصوص قرآنية أو أحاديث منسوبة إلى النبي.. وهم يتوددون إلى من يجاورونهم من السنيين ولا ينافرونهم.

وإذا رجعنا إلى كتّاب الأصول عند إخواننا الاثني عشرية، نجدهم يعتمدون على الكتاب والسنة..وإذا كان إخواننا الاثنا

(١) عز الدين بليق، المنتقى من روائع فتاوى المنار: ج١ص ٧٣٩.
(٢) مجلة العالم: العدد ٥١٩ ص ٤٠.

عشرية يرون أمر الإمامة عقيدة، ويرتبونها ترتيباً تاريخياً بالصورة التي ذكروها، فهم معنا في اصل التوحيد والرسالة المحمدية»[١].

٧- سيد محمد طنطاوي شيخ الأزهر

قال:«إن المسلمين سنة وشيعة مؤمنون بالله ونبيه، وإن اختلاف الآراء لا يقلل من درجة إيمان الأشخاص»[٢].

٨- الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود

قال:«إن في عقيدتي أن الشيعة هم واجهة الإسلام الصحيحة، ومرآته الصافية، ومن أراد أن ينظر إلى الإسلام، عليه أن ينظر إليه من خلال عقائد الشيعة ومن خلال أعمالهم، والتاريخ خير شاهد على ما قدمه الشيعة من الخدمات الكبيرة في ميادين الدفاع عن العقيدة الإسلامية.

وإن علماء الشيعة الأفاضل هم الذين لعبوا أدوارا لم يلعبها غيرهم في الميادين المختلفة، فكافحوا وناضلوا وقدموا أكبر التضحيات، من أجل إعلاء الإسلام ونشر تعاليمه القيمة وتوعية الناس وسوقهم إلى القرآن»[٣].

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: ص٣٩.

(٢) مجلة رسالة الثقلين، ص ٢٥٢، العدد الثاني، لسنة ١٤١٣ هـ

(٣) في سبيل الوحدة الإسلامية: ص ٥٧٣.

٩- الأستاذ عبد الرحمن بدوي

قال:« للشيعة أكبر الفضل في إغناء المضمون الروحي للإسلام، وإشاعة الحياة الخصيبة القوية، التي وهبت هذا الدين البقاء قوياً قادراً على إشباع النوازع الروحية للنفوس، حتى أشدها تمرداً وقلقاً، ولولاها لتحجر في قوالب جامدة، ليت شعري، ماذا كان سيؤول إليه أمره فيها؟

ومن الغريب أن الباحثين لم يوجهوا عناية كافية إلى هذه الناحية، ناحية الدور الروحي في تشكيل مضمون العقيدة التي قامت بها الشيعة»[1].

(١) نقلاً عن كتاب، الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية: ص ٣١٣.

١٠- الدكتور حامد حفني داود (أستاذ الأدب العربي بكلية الألسن بالقاهرة)

قال:«ومن هنا أستطيع أن أجلي للقارئ المتدبر، أن التشيع ليس كما يزعمه المخرفون والسفيانيون من الباحثين، مذهباً نقلياً محضاً أو قائماً على الآثار المشحونة بالخرافات والأوهام والإسرائيليات، أو مستمداً في مبادئه من عبد الله ابن سبأ وغيره من الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل التشيع – في نظر منهجنا العلمي الحديث – على عكس ما يزعمه الخصوم تماماً، فهو المذهب الإسلامي الأول الذي عنى كل العناية بالمنقول والمعقول جميعاً، واستطاع أن يسلك بين المذاهب الإسلامية طريقاً شاملاً واسع الآفاق. ولولا ما امتاز به الشيعة من توفيق بين (المعقول) و(المنقول) لما لمسنا فيهم هذه الروح المتجددة في الاجتهاد وتطوير مسائلهم الفقهية مع الزمان والمكان بما لا يتنافى مع روح الشريعة الإسلامية الخالدة»[١].

(١) من مقدمة له لكتاب عقائد الإمامية، للشيخ المظفر: ص ٢٠.

أكتفي بهذه الكلمات العظيمة التي أفصحت عن بيان الحقيقة التي لا يمكن حجبها أو الالتفاف عليها، مهما تقادمت أو طال الزمان، ولابد أن نربي أجيالنا على هذه المفاهيم فهي صمام أمان للوحدة بين طوائف المسلمين.

كلمة أخيرة

ميثاق الوحدة عند الإمام علي. عليه السلام

وأخيراً أختم هذا البحث بما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته العظيمة فهي بحق دستور يجب أن يقتفى وميثاق يجب أن يحتذى في كل زمان ومكان.

قال عليه السلام:«**الناس صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق**»[1].

وقال أيضاً:«**لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس مَنْ طلب الحقّ فأخطأه، كَمَنْ طلب الباطل فأدركه**»[2].

قال ابن أبي الحديد في شرحه لهذا الكلام:« **مراده أن الخوارج ضلوا بشبهة دخلت عليهم، وكانوا يطلبون الحق، ولهم في الجملة تمسك بالدين، ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها، وإن أخطئوا فيها**»[3].

فهنا يعطي أمير المؤمنين عليه السلام قاعدتان مهمتان يجب على كل مسلم الالتزام بهما وهما:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ج٣ص٨٤.

(٢)المصدر نفسه: ج٥ص٧٨.

(٣) المصدر نفسه: ج٥ص٧٨.

القاعدة الأولى: أن الإنسان أخو الإنسان في الدين ولم يقيده عليه السلام بقيد التشيع أو التسنن، وكذلك هم أخوه في الخلق في أصل الخلقة والمنشأ.

والقاعدة الثانية: وهي أنه قد يقع الخطأ في العقيدة للشبهة أو لغيرها، فلا يجوز هتك حرمة هذا الإنسان- أي إنسان كان- بغض النظر عن لونه وعرقه وهويته، ولو كان ممن خرج عليه وقاتله عليه السلام.

والشيعة تقتفي أثر هذا الإمام الهمام في وصاياه ولا يمكن أن تشذ عنه طرفة عين.

نسأل الله تعالى أن يوحد كلمة المسلمين وأن يأخذ بأيديهم لما فيهم الخير والصواب. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

حرره يحيى الدوخي / قم المقدسة ١٤٢٨.

فهرست المصادر

١. القرآن الكريم

٢. نهج البلاغة

٣. الصحيفة السجادية

حرف الألف

٤. أجوبة مسائل جار الله: عبد الحسين شرف الدين الموسوي، الناشر: مطبعة العرفان، صيدا. ط٢- ١٣٧٣هـ

٥. الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم(ت/٤٥٦ هـ) الناشر: زكريا علي يوسف، مطبعة العاصمة- القاهرة.

٦. ، استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف، السخاوي، الناشر: دار البشائر الإسلامية ـ بيروت، ط ١٤٢١هـ

٧. إسلامنا في التوفيق بين السنة والشيعة: مصطفى الرافعي، الناشر: الدار الإسلامية- بيروت، ط٢، ١٤١٢ هـ.

٨. إرشاد الفحول: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر: دار الفكر- بيروت.

٩. الاستيعاب: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، الناشر:دار

الجيل- بيروت، ط ١٤١٢ هـ
١٠.الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٤١٥ هـ
١١.أصل الشيعة وأصولها: محمد حسين كاشف الغطاء، تحقيق علاء آل جعفر، الناشر: مؤسسة الإمام علي، ط١ - ١٤١٥ هـ
١٢.أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران،ط ١٣٦٣ هـ
١٣.أضواء على السنّة المحمديّة: محمود أبو رية، الناشر: دار المعارف- القاهرة. ونشر البطحاء، ط ٥.
١٤.إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب، الناشر: دار المعارف - القاهرة.
١٥.الأعلام: خير الدين الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، ١٣٠٥هـ
١٦.أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، الناشر: دار التعارف، بيروت- لبنان.
١٧.الامالي، محمد بن محمد بن النعمان المفيد، الناشر : دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ،ط٢ ، ١٤١٤ هـ.

١٨.أهل البيت، فاطمة الزهراء: توفيق أبو العلم المصري- ط القاهرة.

حرف الباء

١٩.بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، الناشر: مؤسسة الوفاء – بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ

٢٠.البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي،تحقيق: علي الشيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط، ١٤٠٨ هـ

حرف التاء

٢١.تاريخ الإسلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ

٢٢.تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ

٢٣.تاريخ الأمم والملوك: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق نخبة من العلماء، مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٢٤.تحفة الأحوذي: محمد بن عبد الرحمن المباركفوري

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت .
٢٥. تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الناشر : دار إحياء التراث العربي- بيروت .
٢٦. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، الناشر: مؤسسة أهل البيت (ع) - بيروت.
٢٧. تفسير ابن أبي حاتم الرازي: ابن أبي حاتم الرازي، الناشر. المكتبة العصرية.
٢٨. تفسير ابن كثير(تفسير القران العظيم): أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، الناشر: دار الفكر- بيروت
٢٩. تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القران): محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الناشر. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٠. التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط، ١ ١٤٢١هـ
٣١. تفسير المنار: محمد رشيد رضا، بيروت ط ٢.
٣٢. تفسير الميزان: محمد حسين الطباطبائي، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة.

٣٣. تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/٢، ١٤١٥هـ

٣٤. التمهيد: يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، الناشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.

٣٥. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٣٦. تهذيب الكمال: جمال الدين يوسف المزي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .

حرف الجيم

٣٧. جامع البيان: محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الفكر – بيروت، ١٤١٥ هـ

٣٨. الجرح والتعديل: أبو حاتم الرازي التميمي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

حرف الحاء

٣٩. حوار هادئ: أحمد بن سعد الغامدي، الدمام- ١٤٢٦ هـ
٤٠.حلية الأولياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط ٤ـ ١٤٠٥هـ

حرف الدال

٤١.الدر المنثور: جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الفكر - بيروت.
٤٢.الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: السيد علي خان المدني، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي - قم، ط ١٣٩٧هـ
٤٣.دلائل النبوة: أحمد بن الحسين البيهقي، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٥ هـ

حرف الراء

٤٤.رجال الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن الطوسي، الناشر:مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم، ط ١٤١٥ هـ
٤٥.رسائل ومقالات: جعفر السبحاني، الناشر: مؤسسة الإمام

الصادق عليه السلام.
٤٦.رسالة في علم النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام بالغيب:محمد حسين الطباطبائي،: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين- قم ، ط١ـ ١٤١٥هـ.

حرف الزاء

٤٧.زاد المسير: ابن الجوزي، الناشر: دار الفكر- بيروت، ط١٤٠٧هـ

حرف السين

٤٨.الاستيعاب: ابن عبد البر،: دار الجيل- بيروت، ط ١٤١٢ هـ.
٤٩.سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف- الرياض.
٥٠.سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الناشر: دار الفكر - بيروت،ط ١٤٠٣ هـ
٥١.سنن الدار قطني:علي بن عمر بن أحمد الدار قطني، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت .
٥٢.السنن الكبرى:أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، الناشر:

دار الفكر – بيروت.

٥٣..سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب أرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة –بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ

حرف الشين

٥٤.الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى، الناشر: مؤسسة إسماعيليان– قم، ط ١٤١٠ هـ

٥٥. شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط. الناشر: دار بن كثير – دمشق ط ١، ١٤٠٦هـ.

٥٦.شرح الأخبار:القاضي النعمان المغربي، الناشر:مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥٧.شرح المقاصد في علم الكلام: التفتازاني، الناشر: دار المعارف النعمانية. ط،١٤٠١ هـ

٥٨.شرح صحيح مسلم: النووي، دار الكتاب العربي –بيروت. ط ١٤٠٧ هـ

٥٩.شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، الناشر: الناشر: دار

إحياء الكتب العربية - بيروت، ١٣٧٨ هـ
٦٠. الشيعة في الميزان: محمد جواد مغنية، الناشر: دار التعارف للمطبوعات- بيروت، ١٣٩٩هـ

حرف الصاد

٦١. الصحبة والصحابة: حسن بن فرحان المالكي، مركز الدراسات التاريخية، المملكة الأردنية الهاشمية ط١، ١٤٢٢هـ
٦٢. صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، دار الفكر- بيروت، ١٤٠١هـ
٦٣. صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.
٦٤. صحيح شرح العقيدة الطحاوية: حسن بن علي السقاف، الناشر: دار الإمام النووي، عمان - الأردن.
٦٥. صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، الناشر، دار الفكر - بيروت.
٦٦. الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان، ط ١،

١٤١٧هـ

حرف الطاء

٦٧.طبقات الحفّاظ: جلال الدين السيوطي، الناشر: الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦٨.الطبقات الكبرى: ابن سعد، الناشر: مؤسسة آل البيت(ع) قم، ط ١٣١٦ هـ.

حرف الضاد

٦٩.الضعفاء: محمد بن عمرو العقيلي، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت.

حرف العين

٧٠.العقيدة الإسلاميّة: جعفر السبحاني، الناشر: الناشر: مؤسسة الإمام الصادق (ع) ط ١٤١٩ هـ

حرف الغين

٧١.الغدير في الكتاب والسنة والأدب: عبد الحسين احمد الاميني، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط١٣٨٧/٢هـ

حرف الفاء

٧٢.فتح الباري: ابن حجر العسقلاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان. ط١، ١٤٠٨هـ

٧٣.فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٧٤.فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط١- ١٤٠٣هـ.

حرف القاف

٧٥.قراءة في كتب العقائد: حسن بن فرحان المالكي. الناشر: مركز الدراسات الإسلامية، المملكة الأردنية الهاشمية، ط١، ١٤٢١هـ

حرف الكاف

٧٦.الكاشف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، الناشر : دار القبلة

للثقافة الإسلامية ، مؤسسة علو — جدة،ط ١- ١٤١٣ هـ.
٧٧.الكامل في التاريخ: ابن الأثير، الناشر: دار صادر،ط ١٣٨٦ هـ
٧٨.الكامل في الضعفاء: عبد الله بن عدي، تحقيق: يحيى مختار الغزاوي، الناشر: دار فكر للطباعة- بيروت،ط٣، ١٤٠٩هـ
٧٩.الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١٤٠٥ هـ
٨٠.كنز العمال: المتقي الهندي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

حرف الميم

٨١.مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط ١٤١٥ هـ
٨٢.مجمع الزوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١٤٠٨هـ
٨٣.المحلى: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الناشر: دار الفكر- بيروت.
٨٤.المستدرك على الصحيحين:أبو عبد الله الحاكم

النيسابوري، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة - بيروت.

٨٥. مسند أبي يعلى: أحمد بن علي التميمي، أبو يعلى الموصلي ، الناشر: دار المأمون للتراث، ١٤١٢هـ

٨٦. مسند أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الناشر، دار صادر - بيروت.

٨٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ،ط ١-١٤٢٢هـ.

٨٨. مشكاة المصابيح: أحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت.

٨٩. مشكل الآثار الطحاوي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ

٩٠. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، ط١، ١٤٠٩هـ

٩١. المصنف: عبد الرزاق الصنعاني، الناشر: منشورات المجلس العلمي.

٩٢.المعجم الكبير: الطبراني، تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: دار إحياء التراث العربي. بيروت.ط١، ١٤٠٥هـ

٩٣.معجم المؤلفين:عمر رضا كحالة، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٩٤.المناظرات بين فقهاء السنة وفقهاء الشيعة: مقاتل بن عطية، تحقيق: صالح الورداني، الناشر: الغدير للدراسات والنشر– بيروت، ط ١٤١٩ هـ

٩٥.منهاج السنة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الناشر: مؤسسة قرطبة ، ط١، ١٤٠٦ هـ.

حرف النون

٩٦.نشأة الشيعة والتشيع: محمد باقر الصدر، الناشر. مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١٤١٧ هـ

٩٧.النصائح الكافية: محمد بن عقيل، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر – قم، ط١٤١٢ هـ

المجلات

٩٨.مجلة تراثنا: العدد(٣٩) لسنة ١٤١٥ هـ الإعداد والنشر:

مؤسسة آل البيت – عليهم السلام

٩٩.مجلة رسالة الثقلين،، العدد الثاني، لسنة ١٤١٣ هـ

١٠٠. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة؛ العدد/٦٥/٢-٦٦.

١٠١. مجلة رسالة الإسلام / العدد الثالث، السنة ١٩٥٩م.

فهرست المحتويات

الفصل الأول

بحوث تمهيدية

الفصل الأول/ بحوث تمهيدية

الفصل الثاني

عدالة الصحابة بين الإفراط والتفريط

الفصل الثالث

اعتدال و وسطية

الفصل الرابع

التشيع و مرجعية أهل البيت عليهم السلام

الفصل الخامس

آفاق الوحدة بين المسلمين